٢٧٨٢
مصطفى ٣٣٨٣
محمود
شرح عقيدة الطحاوية
الشيخ عمر بن اسحاق
نوحيه

ورقة
١٨

٢٧٨٢
٢٢٢٨٣
مجلد/حكم

ع. دورق
١٨

كتاب شرح عقيدة العلامة
الطحاوي الحنفي في علم التوحيد
على التمام والكمال
والحمد لله
وحده
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الترجمان لمتنوعان
ورعنوان ورجمات
المفسر لسان قاموس

الحمد لله الواجب وجوده ويقاؤه، الواسع وجوده وعطاؤه، القديم بره واحسانه، العميم طوله
وامتنانه، المنزه في ذاته عن كل شبه ومثال، المتعالي في صفاته عن التغير والزوال،
والصلاة على رسوله الذي ارسله بالهدى داعيا، ولخلق عباده هاديا محمد صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه ائمة الهدى ومصابيح الدجى وبعد فان اجل العلوم واعلاها وافخمها
واسماها المعارف التي تحصل بها معرفة الله وهي اصل كل علم
وكمال سعادة لاجلها خلق الثقلان على ما فسر لئلا يعبدون اي ليعرفون وقد سماه النبي صلى الله عليه
وسلم رأس العلم حين سأله الاعرابي وقال له غنني عن غرائب العلم يا رسول الله فقال صلى
الله عليه وسلم ما اعلمت في رأس العلم فقال الاعرابي وما رأس العلم قال عليه الصلاة
والسلام معرفة الله وذلك لان شرف العلم بشرف المعلوم والله تعالى لما كان اجل واعظم من
كل موجود كان العلم به اجل العلوم واسماها تحصيلا واحقها تحصيلا وتعظيما والامم
على الجملة الاخصوله ولا فوز الا بالدرجات الا بوصوله وقد تفرقت الفرق فيه لكن الفرقة
الناجية منها التي اشار النبي صلى الله عليه وسلم اليها بقوله والمبتدعة والذي
نفس محمد بيده لتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون
في النار قيل يا رسول الله من هم قال اهل السنة والجماعة قيل ما اهل السنة والجماعة
قال ما انا عليه اليوم واصحابي فينبغي للعاقل ان يلازم طريق اهل السنة والجماعة ويجانب
طريق اهل الاهواء والبدعة فان الاقوى الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون
ومضى عليها الاسلاف الصالحون وقد تصدى لبيان مذاهبهم كثير من ائمة الاسلام
فرسان علم الكلام فمنهم من اشهب واطنب ومنهم من توسط ومنهم من انتخب
ومن المختصرات التي فازت في حسنه مطالعة ومقاطعة وحوت سحر البيان جوامعه
صانعه البحر الزاخر والحبر الفاخر ابو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى فرغب الناس
في قراءته وحفظه لكثرة فوايده وعذوبة لفظه فشرحت له شروحا مختصرا ابوضح اسراره
وبين مشكلاته ولكن لم يكف استاره معتمد على سه مفيض الخير والجود ويجب وجوده
كل موجود والملجأ في غاية الحسن والمنتظره ونهاية اللطف والاشارة كنت مشكل
في مدت من الزمان وبرهة من الاوان فيمن اجعله باب كيفي طول الدهر بريسه
فقرعت قلبي من سطان الريب وجهته تلقاء مدين الغيب فوقع من عالم القدس في
سري اخفاء من ردي ان اتحف به مجلد من طلع من برج السعادة بدر التلا لارتدو
ويملأ القلوب بهجة وسرورا واضحى غرة الجبهات شرقة وضيا وعبطة السار رفقة وسناء
وظهرت عليه انوار البركة وقارنه السعد والتوفيق في المدرسة ولاحت عليه لوايح السعادة
واحاطت منه روايح السيادة وهو الامير العظيم الكبير الاجل الاعظم مغتنم المارف
العالمين كهف الفقراء والمساكين فريد العصر وزينه المصرون الماديدي والنصر صاحب
السيف والعلم الجامع بين الفضلتين العلمية والعملية الحاوي السعادتين الدنيا
والدينية المشرق من حسنيه الفجر الهدى المرتفع بهمته اعلام التقى المحل البحت
المختص بقضيته والغاديات ببره وسحابه الاصر الجليل سيف الدين ضرغتمش
الملكي الصالحي ادام الله عزه ووفر من الخيرات كفرة وحفظ من الغير بما يحكمه وادام
سروره وبهجته فانه متعين في هذا العصر لتربية العلماء معين بالاحسان على الفضلاء
والحمد لله الذي جعل السنة الناس بشر ثنايه منطقه ورقاب العلماء باعباء عطايه مطوقه
فمن كان مشتملا على هذه الصفات والمناقب اشتمال السماء على النجوم والكواكب جدير
ان تشرف ديباجة الكتاب باقابه وينتمي الى جنابه حتى يبقى اسمه الشريف في الكتب
والدفاتر بين الانام على تعاقب الليالي والايام وصر الدهور والاعوام ورايت كلا تترفع
به همته الى الغرر بخدمته بتحفة تعقد بها داد يده فكانت حالي تقعدني عن
هذا الخطة شاكي خزانة الكرامة اوشاته ما فيها من النفايس اليتيمة تذكرت قول
المتنبي لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال ولما رايت
ان الشرح افضل مرغوب فيه عنده واجل ما يتحف به لديه ارت ان اهديه بالشرح المذكور

على النمط

النمط المسطور والمرجو من كمال عاطفته التلقي بحسن القبول فان ذكر غاية المامول
وان فسح في الاجل وسوعدت ببلوغ الامل جمعت له كتابا في الفقه شاملا لخلاصة ما في
المطولات نائبا عن العبارات المواضحات ومن الله التوفيق وبه هداية الطريق ولنرجع الى الشرح
قال الطحاوي رحمه الله هذا ذكر بيان عقيدة اهل السنة والجماعة على مذهب
فقهاء الملة ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابراهيم
الانصاري وابي عبد الله محمد الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول
الدين ويدينون به لرب العالمين اشار بقوله هذا الى مثار اليه ذهني اذ كان
تصنيف الخطبة قبل تصنيف بقية الكتاب كما قال في المنظومة هذا كتاب في الخلاف وان
كان بعده يكون اشارة الى الذهن الحاضر والعقيدة فعيلة بمعنى مفعولة اي المعقودة
التي عقد عليها القلب وعزم بالقصد الصحيح يقال اعتقد فلانا كذا اذا ربط عليه
قلبه وعزم عزيمة محكمة وانما سمي علم اصول الدين عقيدة لتعلقه بعقد القلب
دون العمل بالجوارح فكان المقصود منه نفس العلم بخلاف نفس علم الفروع فان
المقصود منه العمل بالجوارح كالصلاة والحج والعمل الشرعي ملازمة والسنة في اللغة
الطريقة وفي الشرع اسم للطريق المسلوك الذي وقع عليه سنة النبي صلى الله عليه
وسلم وغيره من الصحابة لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي وكمن المراد به ههنا الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وامر
بالدعا اليها بقوله بقال قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني والمراد
بالجماعة والتابعون لهم باحسان والتي الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام هذه الطريق
الذي انا عليه واصحابي وانما سميت هذه الطريقة اهل السنة والجماعة لطريق
اهل الهوى والبدعة والمذهب موضع الذهاب وهو الطريق الذي يسلكونه ولما
العرف صار عبارة عما تقرر عند راي كل مجتهد يقال عليه مذهب ابي حنيفة رحمة
الله لما تقرر عليه اعتقاده من الاحكام فكانه يذهب على ذلك النمط ويتبعه من
يعتقده والفقه جمع فقيه من فقه بالضم اذا صار الفقه سجية له لا من فقه بالكسر
فانه يقال لغير الشيء يا فاقا الشاعر ولكن داك حسن الطالب
والفقه في اللغة الفهم الدقيق الذي يتوقف على الغير فانه لا يقال فقهت بان السما
فوقنا والارض وفي الاصطلاح الفقه العلم بالاحكام الشرعية العملية بادلتها والعلم
الاسلام والعمل بها حتى يصير نفس العلم مقصودا وقال ابو حنيفة رحمه الله الفقه
معرفة النفس ما عليها وما لها اي ما ينتفع به من الثواب باتيان الطاعات وما يتضرر به
من العقاب باتيان المحارم والمحظورات وانما سمي ابا حنيفة وصاحبيه بفقهه الملة
وهي الدين المضاف الذي بعثا لنبي صلى الله عليه وسلم به لانهم ارفع العلماء شانا واقواهم
حجة وبرهانا الذين يعتقون في تمهيد الاصول والفروع الجامعون بين الراي الصحيح والمروي
المجموع وباعتبارات الفقيه هو العالم باحكام الشرع نحو الصلاة والعامل بها وهم جمعوا
بينهما الفقه والكلام حالم يفرق لغيره في الحسن سمعنا الناظرين يقولون
كان الناس نياما عن الفقه حتى انتظمهم ابو حنيفة رحمه الله بقالي بما فتقه وسته والحصه
وصح عن الشافعي رحمه الله تعالى الناس كلهم عيال على ابي حنيفة في الفقه قال نجد في
الصحاح سمعت الشافعي يقول قلت لمالك ابن انس قد رايت ابا حنيفة قال نعم رايت
رجلا لو كلمك في هذه الساذية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته ولما العلم فقال علي بن
يزيد رايت ابا حنيفة ختم القران في شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار
وقال حفص بن غياث صلى ابو حنيفة صلاة الصبح بوضوء العشاء الاخرة اربعين سنة
وصنافته في الفقه والعمل مشهور لا يخفى ولما تحقق عند ابي جعفر الطحاوي الذي
همدا مام المحدثين انهم جمعوا بين العلم والعمل وان مذهبهم عمدة اهل السنة والجماعة
سلكوا فقها الملة واختاره لتفقه وذلك لان ابا حنيفة ولد في عصر الصحابة وروى
عن بعضهم وتفقه في زمن التابعين وناظر معهم فكان صنيعهم وقد رضي الله عنهم
ورضوا عنه على ما نطق به الكتاب العزيز وشهد النبي بخيريتهم حيث قال صلى
الله عليه وسلم خير القرون الذي انا فيه ثم الذي يلونهم الحديث وقوله وما يعتقدون

الرحيمية خلق وطبيعة
يقارب بين الشجاعة والسخاء
وارام الشهي

العزيمة

من اصول الدين ومعنى الاعتقادية معنى واصول الدين مركب اضافي جعل علما للعلم
مخصوص فقيل لتعريفه من حيث كونه علما انه علم يبحث فيه عن اسماء الله تعالى
وصفاته وافعاله واحواله المخلوقين من الملائكة والانبياء والاولياء والائمة والمبدا
والمعاد على قانون الاسلام لاعلى اصول الحكماء تخصيصا للمتقين في العقد الايمان
ورفع الشبهات وقد سمى اصول الدين بعلم الكلام اما لان اظهر مسايله مسئلة
فيها وتقاتل اعلامها في مسئلة الكلام فسمي النوع باسمها وقيل سمي كلاما
لان ظهور الكلام اغا يكون ببيان الحقايق وايراد الدقايق وذلك يحصل
الا بعد العلم بنفي قدم الكلام اما بحار للمبالغة وقيل ان المتكلمين للمباحث
العقلية والادلة البرهانية اذا سئلوا عن مسئلة تتعلق بصفات الله وافعاله
قالوا انتهينا عن الكلام في هذا فاشتهر بهذا السئلة فصار علما له بالغلبة واما
من حيث كونه مضافا فالاصل صاحبي عليه غيره والدين وضع الهي سايق
لذوي العقول الى الخير وهو الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقد ورد الدين بمعنى الانقياد والطاعة
والجزا والحساب في المتدين محمد المسلم المتبع المقر بالجزا والحساب يوم المعاد وهو
خبر المعاد وقوله وما يدينون به لربهم العالمين اي يجزونه دينا ويطلبون
به الجزا من الله والربا المالك العالمين جمع العالم وهو اسم لذوي العلم من الملائكة
والثقلين وقيل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض تسمى كونين علما
على ثبوت الصانع قوله فنقول في توحيد الله معتقدين توفيق
غيره انما البدا بالتوحيد لان اول خطاب يتوجه على المكلف هو الخطاب باثبات الله بعثت
الاشيا وبه نزلة الكتب السماوية قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وانما قال معتقدين وهو حال عن الضمير في نقول
لتحقيق الايمان لان مجرد الاقرار باللسان بدون الاعتقاد بالجنان لا يكون ايمانا
يكون ذكر تعالى على ما اخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم وانما قاله تنبيها على ان الاشارة الى قول اهل السنة والجماعة
الى التوحيد بهداية الله تعالى يهدي اليه لنوره من يشاء لا بوضع العباد كما زعمت
المعتزلة قوله ان الله واحد هو بيان للمعقول اي نقول حال الاعتقاد ان الله واحد
قيل الواو الواحد صفة فان وقد جاء في القرآن وصفا لله تعالى بهما قال الله تعالى
الواحد القهار وقال تعالى قل هو الله احد وقيل بغير كل واحد منهما مالا يغير الاخر
فان الواحد يستعمل لافادة الصفات والاحد يرجع الى الذات يقال فلان واحد زمانه ينعوت
بذلك بتفرده بصفات كمالية لا شاركه فيها غيره ولهذا قيل ان الله احد في ذاته وواحد
في صفاته قال الازهري الواحد في صفات الله تعالى معنيان احدهما لا نظير له وليس
كمثله شي والعرب تقول فلان واحد في قومه اذا لم يكن له نظير والمعنى الثاني انه له
واحد ورب واحد ليس له في الهيته وربوبيته شريك وغير بعض اصحابنا على التوحيد
فقال هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فان الله تعالى واحد في افعاله لا شاركه
احد في الخلق المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه واحد في صفاته
لا شبه الخلق فيها وقيل اقامة البرهان على التوحيد لا يدخل في كتب الايمان وجوده
معرفته وكيفية الوصول الى ذلك فتقول اختلف الناس في وجوب معرفة الله
فذهبت الحشوية الذين يتعلقون بالظاهر الى ان معرفة الله تعالى غير واجبة بل الواجب
الاعتقاد الصحيح المستفاد بالطرق الظاهرة وانكروا على المتدين بالدلايل العقلية
وذهب جمهور المسلمين الى ان معرفة الله تعالى واجبة لكن اختلفوا في طريقها فذهبت
الصوفية واصحاب الطريقة الى ان معرفة الله انما هو بالرياضة وتصفية
الباطن ليستعد المرادات والشواهد المعرفة التي يعبر العقل عن تعبيرها
فعندهم على الذوق في ادراك المعارف وقال طايفة لا يحصل المعرفة الا بالهام
وقاله اهل التعليم من الاسماعيلية لا تحصل الا بتعليم الامام المعصوم فهم يوجبون

نصب الامام

معالم معرفة الله تعالى

نصب الامام ويجلون خلو الزمان عن وجود امام معصوم يهدي الخلق الى معرفة الله تعالى
وقال جمهور المتكلمين ان طريق معرفة الله تعالى انما هو النظر والاستدلال اذ العلم بوجوده
ليس بضروري فلا بد له من دليل والدليل العقلي من الكتاب والسنة فرع على ثبوته
الثبوت فلا يمكن الاستدلال به في الاصول فتعين الاستدلال بالدلايل العقلية
التي ورد التنزيل ايضا بتصحيحها فالطريق الى اثباته تعالى اما امكان العالم وحدوثه
واما مجموعهما وكل ذلك اما في الجواهر او في الاعراض فالاشارة الى الاستدلال
بامكان الذوات في قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء لان الممكن مفتقر في ذاته
الى موجده والواجب غني عن غيره في وجوده والاشارة الى الاستدلال بالحدوث
في قوله في قصة ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين وهذه الطريقة اقرب الطرق
الى افهام الخلق وذلك مقصور في امرين دليل الانفس ودليل الآفاق والاشارة
اليهما في قوله تعالى سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
اما دليل الانفس فهي ان كل احد يعلم بالضرورة انه كائن موجود انما وحد وكل ما وجد
بعد العدم لا بد له من موجد وذلك هو الموجود ليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الخلق
لان محدثهم مثل هذا التركيب معلوم بالضرورة فلا بد من صانع قديم مخالف هذا الموجود ان
واما دليل الآفاق فلان العالم يشعر بدرك التغير بالمشاهدة من اختلاف الفصول
والليل والنهار والطلوع والافول والرعد والبرق والسحاب وغير ذلك وكل متغير حادث
فلا بد له من محدث قديم اذ لو كان حادثا لاحتاج الى محدث اخر فيدور او يتسلسل وهما
محالان وهذا الاستدلال هو طريقة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمعتقدين من
العلما والعقلاء وذلك لان ادم عليه السلام انما اظهر الله حجته على فضله بانه اظهر
علمه على الملائكة وهو ذكر محض الاستدلال وقال الله تعالى اخبارا عن نوح انا قومه
ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها
وانتم لها كارهون واخبر عن قومه بقوله قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وهو ظاهر
ان الذكر المجادلة ما كانت في الفروع بل في التوحيد والنبوة ونصرة الحق بالدلايل القطعية
ولا بد لهم عليه السلام مقامات اولها مع نفسه وهو قوله فلما جن عليه الليل راى
كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين وهذا هو طريق المتكلمين في الاستدلال
بالتغير وما على حدوثها ان الله تعالى صدقه على ذلك فقال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه وثانيها حالة مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيا وثالثها مع قومه بالعقل والفعل وهو كونه لجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون رابعها حالة مع ملك زمانه نمرود وهو قوله ربي الذي
يحيي ويميت فاستدلال على الربوبية بفعل يعجز عنه غيره من الاحياء والاماتة
واتيانه الشمس من المشرق وهو الذي عليه السلام عول في اكثر الامر على دليل ابراهيم
عليه السلام وذلك ان الله تعالى حكى في سورة طه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا
الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى جعل هذا نفسه هو الدليل الذي ذكره ابراهيم عليه السلام
في قوله الذي خلقني فهو يهدين وقال في سورة الشعراء رب ابائكم الاولين فهذا
هو الذي قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف هو عون بذلك وطالبه بشي
اخر قال رب المشرق والمغرب واما شاهد صلى الله عليه وسلم فاستشهاده بالدلايل على
التوحيد والنبوة والمعاد اكثر واظهر من ان يحتاج الى الذكر فان القرآن مملو منه وقد
قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
ولا شك ان المراد بقوله بالحكمة اي بالبرهان والحجة فثبت ان الله تعالى امر رسوله والمؤمنين
مامور به وقوله وجادلهم بالتي هي احسن ليس المراد منه المجادلة في الفروع
فانهم ينكرون اصل الشريعة فتعين ان المراد المجادلة في التوحيد والنبوة وقال تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يفهم منه ان المجادل بالعلم ليس بمذموم بل
ممدوح والله تعالى امرنا بالنظر والتدبر والتفكر فقال قل انظروا ماذا في السموات
والارض اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وذكر التفكر في معرض المدح انه في ذكر

لايان لاولي البيان ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وذم المعارض عن الايات فقال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لهم قلوب لا يفقهون بها وقدم ايه بقاي التقليد فقال لحكايه عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقال بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وكل ذلك يدل على وجوب النظر والفكر وذم التقليد والمقصود من هذا رفع انكار المحتوية على من يشتغل باصول الدين ليس الا التمسك بهذه الدلايل ورفع الشبهات عنها وهي حرفة الاشياء المخصوصين بالتقليد حيث قالوا المجد والدين على ان شرف العلم بشرف المعلوم وهاهنا كذلك لان الله وصفات اشرف المعلومات كان العلم المتعلق به وهو علم اصول الدين اشرف العلوم ولان العلم اما ديني او غيره والديني اشرف من غيره والدين اما اصول الدين او غيره وما عداه متوقف عليه لان المقصد اما بحث عن معاني كلام الله وذلك فرع على وجود الصانع المختار والمتكلم الذي لا يعرف الا في اصول الدين والحديث انما يبحث عن كلام الرسول وذلك فرع على نبوته والفقيه يبحث عن احكام الله وذلك فرع على التوحيد والنبوة فدل على ان هذه العلوم مقصورة الى اصول الدين وهي مبنية عنها فيكون اشرف ووجود ترجيحه على سايرالعلوم كثيرة لا يمكن ذكرها في هذا المختصر ولقد ذكرتها من طريقة السلف في الازمة المتكلمين بالادلة الضرورية وردي ان بعض الزنادقة انكر الصانع عند جعفر الصادق فقال هل ركبت البحر وراءيت الهول قال نعم ركبنا البحر وهاجت رياح مايلة فكسرت السفينة وغرقت الملاحين فتعلقت ببعض الالواح حتى ذهب عني ذلك فاذا انا مدفوع بتلاطم الامواج حتى وصلت الساحل فقال جعفر قد كان اعتمادك على السفينة والكرح والملاح فلما ذهبت هذه الاشياء عنك هل كنت رجوت السلامة قال نعم فقال ممن كنت ترجو ذلك فسكت الرجل فقال لجعفر ان الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي الجاك من الغرق فاسلم على يده وروي ان ابا حنيفة كان سيفا قاطعا على الدهرية وكانوا يحترزون العرصة لقتله فزجموا عليه وهو قاعد في المسجد يتوقع مدلوه فلم يعد بقتله فقالوا له لم احجمتم عن صلة ثم افعلوا ما شيتم فقالوا له يا مان فقالوا ما تقول في رجل يقول لكم اني رايت سفينة مشحونة في لجة البحر قد احتوشتها امواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي مع هذا تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها هل يجوز ذلك في العقل قال لا ولا هذا شيء لا يقبله العقل فقال ابو حنيفة ياسبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينة تجري مستوية من غير ملاح لكن يجوز قيام هذا العالم العلوي والسفلي مع اختلاف احواله من غير صانع فكلموا فيما بينهم وقالوا اسلم بيده وسالم بعض الحكما الشافعي ما الدليل على وجود الصانع فقال ورقة الفرصاد طعمها ولونها واحد قال لم ما كلهما دود القز فيخرج منها الابريسم والعسل فيخرج منها العسل والشاة تخرج منها البعر والظبي فيقعد في نوافجها المسك فثبت ذلك الذي جعلها كذلك مع ان الطعم واحد فاستحسن منه ذلك واضواءه وذكر احمد بن حنبل تعلقه حصة ملساء مترجة فيها ظاهرها كالفضة وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران وخرج منها العلقة حيوان سميع بصير فالذي من الصانع بالعلقة البيضة وبالحيوان الفرخ وسال هارون الرشيد ما الدليل على ذلك فاسند ذلك باختلاف الاصوات وزنة اللغات وتفاوت اللغات وقيل لابي العباس ثمرات فقال شمة تامل في نباتك الارض وانظر الى اثارما صنع الملك على قضب الزبرجد شجرات بان الله ليس له شريك وسيل الاعرابي عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير والروث على الحمير واثار الاقدام على المسير فسما ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج الا تدل على العليم القدير فقيل لاعرابي عرفت ربك فقال بفسخ العزايم وحل العزايم هلمن امسك وقال اخر عرفته بخلية باحد طرفيها ثقل وبالاخر ثقل والعقل مقلوب له صانعان لثبت بينهما تمانع وذلك دليل حدوثهما وحدوث احدهما لان احدهما لو اراد ان يخلق

في شخص

باجتهاده

في شخص حياة والاخر موتا فان حصل مراد هما فهو محال لاجتماع الضدين في محل واحد وان لم يحصل مراد هما وهو ايضا محال وحصل مراد احدهما دون الاخر وهو دليل عجز من لم تنفذ ارادته والعاجز عن بعض الشيء هو دليل التغابن الماخوذ من قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقوله لا شريك له ازاد بهذا نفي انواع الشرك اذ الاشراك في اللغة هو التسوية وهو اما في الذات كما قالت الثنوية حيث تشتق للعالم صانعين خيرا وشريرا ويسمونه يزدان وشريرا ويسمونه اهرمن وكذا الطبايعية والافلاكية واقاني التسمية واستحقاقا للعبادة كما صنعت مشركو العرب حيث عبدوا مع الله الاصنام وسموها الهة فصاروا مشركين مع اقرارهم بان الله هو الخالق باعتبار عبادتهم غير الله يقال قال الله يقال وليت سليتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما في الوصف كما قالت المجسمة حيث وصفوا الباري بالصورة والجسمية والتمكن على العرش على مثال البشر سوية منهم بين خلقه فصار والله ذلك من جملة المشركين وقد نزه الله تعالى نفسه الكريمة عن جميع ذلك حيث قال سبحان الله عما يشركون سبحان الله عما يصفون فقوله ولا شيء مثله هذا اثبات كمال ذاته في الازل بنفي التغير والمماثل قال الله يقال ليس كمثله شيء وهذا محكم في هذا المعنى فيحمل عليه جميع الايات المتشابهة التي تمسكت بظواهرها المشبهة فقوله ولا يعجزه شيء هذا وصف له بكمال القدرة لان وجود كل موجود سواه باجتهاده فمحال ان يعجزه شيء قال المحقق نفس والله منزه عن النقايص ولانه موصوف بكمال القدرة على كل شيء فلا يوصف بالعجز والا يلزم اجتماع النقيضين ولانه يقال خالق كل شيء ولا تصور الخلق مع العجز والله الاشارة بقوله الذي خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فقوله ولا الهة غيره هذا نفي لكل معبود سوى الله تعالى اذ الاله في اللغة هو المعبود وكفار قريش كانوا يعبدون الاصنام مع اعترافهم ان الخالق هو الواحد وكانوا يقولون ما نقبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فسفه قوله لا اله غيره غير ما افادة قوله لا شريك له فلا يكون تكرار فقوله قديم بلا ابتداء لانه لو كان حادثا لافتقر الى محدث وذلك المحدث ان كان قديما لزم المحال وان كان حادثا فتقل الكلام اليه اما ان يتسلسل او ينتهي الى قديم والتسلسل محال فتعين الانتهاء الى قديم وانما الدليل على ان قديم بلا ابتداء هو الان القديم في اللغة ما خود من قولهم قدم الشيء بالضم قدما فهو قديم اي مضى عليه زمان طويل قال الزمخشري في قوله تعالى عاد كالعرجون القديم هو المحول فان اقل مدة الموصوف بالقدم الحول وضده يقال في العرف هذا اناء قديم وهذا شيخ قديم وهذا المعنى غير مراد في حق الباري بل المراد بالقديم في صفاته هو الذي لا ابتداء لوجوده فالكلام يحتمل احتمالين احدهما المعنى اللغوي والعرفي فقوله دايم بلا انتهاء لما ثبت ان الله تعالى قديم ثبت انه دايم اذ العدم يقابل الوجود وانما قال دايم بلا انتهاء ليعلم ان رد دوامه يقال كيف يتعلق القدرة بالزمان لانتهاء وجود معنى قوله تعالى هو الاول والاخر اي الاول بذاته والاخر بذاته غير متعلق بزمان وانما وصف نفسه بهذا لئلا يعهم من اوليته واخريته ما يفهم من اوليته واخريته غيره يوصف بهما بواسطة وقوعه في الزمان السابق او اللاحق لا بالذات قوله لا يفنى ولا يبيد اي لا يتلاشى ولا يهلك وانما جمع بين النفيين تاكيد لدوامه ويقال يزاد بالاول نفي الملاشي الذات وبالثاني نفي بطلان الحياة والصفات لان ذلك في ذاته وصفاته محال لقدمه الثابت بذاته لكونه واجبا لوجود بذاته وامتناع الزوال قوله ولا يكون الا ما يريد لان كل موجود سواه فهو بخلقه وتكوينه وارادته لكونه ما سواه ممكنا والممكن لا يترجح احد طرفيه الا بمرجح وذلك المرجح ارادة الله تعالى اذ لا مرجح سواه قال تعالى يفعل الله ما يشاء وحكم ما يريد وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ووصف شيء بالمشية والارادة فيشتمل له حقيقة كما زعم الكعبي ومن تابعه من المعتزلة كما لتظام من انه تعالى لما يوصف بالارادة حقيقة بل مجازا فالارادة في الشاهد حقيقة وهو محال على الله وانا نقول معنى الارادة عندنا هي الصفة التي يرجح احد المقدورين على الاخر لوجه دون وجه وفي زمان دون زمان اذ لولا الارادة لوقعت الممكنات في وقت واحد على هيئة واحدة ولما اختصت المفعولات

على الترادف والتوالي وعلى النظام والاتساق وعلى البهائم المختلفة والاوصاف المتباينة على
ما تقتضيه الحكمة البالغة فان دليلا على اضافة الفاعل بالارادة اذ وقع هذا الاختلاف
لم يمكن من اقتضاء ذواتها فعلم ان ذلك لارادة الفاعل وقولهم الارادة شهوة فذلك ليس
منهم لنفي الصفة عن الله تعالى لان الشهوة ارادة مخصوصة وهي ارادة ما فيه
نفع المريد والله غني مطلق لامكون ارادته اشتهائية بل هي سببية والارادة مشتقة في اللغة
من الرودة وهو المطلب ولهذا سمي طلب الكلاء رائدا وفسنه المثل الزائد لا يكذب اهله
قوله لا تبلغه الاوهام ولا تدركه الافهام الوهم قوة تدرك الجزئيات والفهم ادراك
العقل الكليات والله تعالى ليس بجزء ولا وضع وكيفية فتطبع في الاوهام ولا يدرى
حد فتبلغ كنهه العقل ويحيط به بل هو ضد ما قال عن ذلك قال الله تعالى ولا يحيطون به
علما اي ادراكا ولاحاطة بجميع اطرافه لا تتصور الا فيما يحد ويتناهى قوله لا يشبه
الانام وهو كل ذي روح وقيل جميع الخلائق وقيل المراد بالانام البشر وهو لا شبه لانه
اراد به نفي قول المشبهة والجسمة حيث وصفوا البارئ بانه جسم على صورة البشر
وايضا اراد نفي قول النصارى حيث جعلوا له ولدا وصاحبة تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا ولا شك ان الولد شابه الاب ففي هذا افاد قوله ولا يشبه الانام عن ما افاد قوله
فتناسق لا شيء مثله لان الاول عام وهذا خاص فيكون مبالغة في تنزيه الله عز وجل
عما لا يليق به قال في النصرة المماثلة اسم جنس يشمل الانواع اربعة المتماثلات
المتضادات والمشاكلة والمساواة والمماثلة يجمع انواعها منتفية عن الله تعالى
لان المثلين هما اللذان اتحد احدهما مسد الاخر ويقوم مقام صاحبه ويصلح لما يصلح
له المثل الاخر وهذا لا يتصور في حق الله تعالى والضدان هما المختلفان اللذان
يتعاقبان على محل واحد ويتعاقبان على موضوع واحد والله تعالى منزه عن ذلك
وهذا على اصطلاحهم اما المحققون فانهم قالوا ان الاتحاد بالنوع مماثلة
وفي الشكل مشاكلة وبالجنس مجانسة وبالكيف مساواة وبالكيف مشابهة وبالمضاف
كاتحاد زيد وعمرو في بنوة بكر مناسبة وفي المضاف مشاكلة وبالوضع موازاة وبالاطراف
مطابقة كاتحاد اطراف طاسة عند اكتساب احدهما على الاخر وقد حكى لا يموت الذي
يقال الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم وزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فهو الحي لا اله الا هو ففي الاية دلائل من حيث العقل والسمع
على حياته لانه بدا بذكر الصانع وانبه بذكر الصنع بقوله جعل لكم ثم ذكر المصنوع
بقوله الارض ثم ذكر دلالة المصنوع عليه اي جعل مع سعتها وعظمها على هيئة
تقرون عليها وتكثرون فيها وتقلبون فيها وهي ميدة لا تدوم على حال واحد
الا ترى كيف واتت الوتاد المسامير منها ثم قال والسماء بناء اي سقفا محفوظا قائما
في الهوى بلا عمد ولا علاقة ثم خاطب العقلاء في تصوير جوهرهم وتركيب
اعضائهم ليستدلوا في اثبات الوهيته وكماله فقدرته وحكمته فقال وصوركم فاحسن
صوركم وفهم تعلمون انهم كانوا امواتا نطفا سلت من صلب الرجل وترائب
الانثى ثم صارت لمظة في قرار مكين في ظلمات ثلاثة انقطع عنها تدبير الادميين
فدلهم على ربوبيته بآثار صنعه اذ لا صنع الا بالصانع ودلهم على معرفة حكمته
وعلمه بآثار الاتقان والاحكام بقوله فاحسن صوركم اي حسن تركيبها منتصبا
قائما منها غير منكبة وابدع في بدنكم من العين الى القدم اشياء يحير العقل بادراكه
كيف حسنة وركب فيكم العقل المدرك ثم ذكرهم بنعمة عليهم فيما يقوم به من امر
معاشهم فقال ورزقكم من الطيبات اي رزقكم من الطعم ما يحرج من مدرض لانه اخرج صنفا
صنفا مختلفا فعدد اطيبه والذ به رزقا للبشر وتاتي رزقا للدواب ثم قال ذلكم
الله ربكم اي الذي صنع لكم هذا قدر ربكم لا رب سواه ثم قال هو الحي لا اله الا هو
عليهم الاستدلال ان الفعل المحكم لا يتاتى الا من حي قادر عالم اذ من يشبه
مثل هذه المصنوعات التي ما لا تكون صنعا ناجزا عن عداد العقلاء وما يستدل
بالفعل المحكم على كون الفاعل قادرا يستدل به على كونه حيا اذ الحياة شرط ثبوت
القدرة وفي قوله هو الحي اشارة الى انه هو الحي المطلق الذي حياته بذاته اوكى انحياة
غيره عارضية مستفادة من فيضه فهم احياء لحياته هي غيرهم فلذلك رجل قيهم الموت

باقة فاما حياته بذاته فيستحيل ان يحله الموت اذ الواجب بذاته الازل لا يزول والبه الاشارة
بقوله سبحانه وتعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت قوله قيوم لا ينام القيوم هو القائم
على كل نفس بما كسبت وقيل هو الحافظ وقيل هو القائم بتدبير امر الخلق وقيل القائم
بذاته المقيم لغيره وقوله لا ينام نفي للنوم والسنة والسهو والغفلة عنه اذ النوم
فترة تعتري الانسان فتمنعه عن استعمال الحواس والجوارح والله تعالى منزه
عن ذلك ولان نفي النوم من لوازم كونه قيوما لان جميع الاشياء قائم به فلو تعتريه
النوم لانتقد نظام العالم قال الله تعالى يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا قدم القيوم بقوله لا ينام قوله
خالق بلا حاجة اذ الحاجة نقص يفتقر المحتاج الى دفعها والله هو الغني المطلق
فلا يكون له حاجة في فعله قال الله تعالى ان الله لغني عن العالمين فان قيل فزدنا الخلق
معللا في القرآن مثل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقد انهم
خلقوا للعبادة قلنا ويله الا ليامرهم بعبادتي وانهاهم عن معصيتي ثم
اشبههم على الطاعة وتركه المعصية فكان الخلق لحاجة المكلفين لا لحاجته اذ النفع
عائد اليهم وهو لا يتضرر بترك ذلك وانما جعل على ذلك فعلا يلزم الخلق في خبر
الله تعالى لانا نعلم انهم ما عبدوه باسرهم قوله رزاق بلا مؤونة اي يرزق الخلق
بلا كد ولا علاج ولا استعانة بالاسباب لان جميع مراد الله يحصل بتكوينه على ما قال
انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فلا يلحقه المؤونة والكلفة في ذلك
لكمال قدرته قوله ميت بلا مخافة اي بمنت الخلائق ولا يلحقه بذلك خوف وحشة
فان وجودهم وعدمهم بالنسبة اليه سواء اذ هو القهار المتفرد بالبقاء والفناء
قوله باعث بلا مشقة وذلك لان الله تعالى خلق العالم لا بمشقة بالتكوين على
ما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيتعالى في البعث والاعادة
عن لحوق المشقة اذ الاعادة اهون من الابتداء وفيه الاشارة بقوله وهو اهون
عليه وبقوله افعيينا بالخلق الاول اي ما عجزنا بالخلق الاول فكيف نعجز بالخلق
الثاني وبقوله بل هم في لبس من خلق جديد اي لا خلق نفيده وبقوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
وقال جوابا لمن انكر البعث اولم ير الانسان ان خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة الى ان قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم بلى وقد جاء الخلائق العليم والزم الحجة على منكري النشاة الثانية
فقال يا ايها الذي ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة اي كامل فيكون في البعث وتكونه
وقد خلقكم الله من التراب في اطوار مختلفة ومعنى مخلقة اي مخلوقة خلقا
تاما وغير مخلقة اي متروكة على حالها وقوله لنبين لكم اي ليتبين لكم قدرته وسلطانه
ان من قدرته على خلقكم بتلك النطفة من حاله الدنية الى الانسانية وحاله التطفل
الى العلقة الى المضغة فهو قادر على البعث والاحياء بعد ما تصيرون ترابا
ويلاشيا جزاء لكم فلين في موقعهم الا هذا وقد انذركم ايضا بقوله فكذبوا بالحق لما جاءهم
ما زال يصوغه قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن من قبل لكن
من صفته اراد بهذا الكلام ان الله تعالى موصوف باسمائه الحسنى وصفاته العلا
ازلا وابدا سواء كان صفات الذات كالحياة والقدرة والعلم والارادة او المشيء والسمع
والبصر او صفات الافعال كالتخليق والتكوين والاحياء والاماتة فان كلها صفات
لم قائمة بذاته قديمات مصونات عن الزوال وكان موصوفا بهذه الصفات قبل
خلقه اي قبل مخلوقاته فان الخلق بذكر ورد به المخلوق كقوله تعالى هذا خلق
الله اي مخلوقه ولين المراد بالخلق الصفة القائمة بذاته ولهذا قال لم يزدد
بكونهم اي بكون المخلوقات شيئا لم يكن قبل المخلوقات من صفته معناه ما
زاد في صفات الله بعد خلق الخلائق شيئا لم يكن في صفاته قبل خلقهم بل صفاته
قديمات ازلية والدليل على ان صفاته قديمة قائمة بذاته النقل والعقل اما النقل

فقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه وقوله تعالى انزله بعلمه وقوله تعالى ان الله هو
الرزاق ذو القوة المتين اثبت الله تعالى له العلم والقدرة وكذا باقي الصفات اثبت
بقوله تعالى هو الحي القيوم وبقوله السميع البصير وفيه نفي المعتزلة حيث قالوا انه
حي وعالم وقادر بذاته لا بصفة زائدة على ذاته قائمة بذوتلنا بقوله العقول تحي
لاحياة له ويعالم لاعلم له ويقادر لا قدرة له محال كما ان يعقول متحرك لاحركة له محال
لان هذه الصفات مشتقة من المعاني فلا يطلق على الذات الا بقيام ما خذ الاشتقاق
به واما الدليل من حيث العقل فهو ان الله تعالى اخترع هذا العالم مع اختلاف
انواعه على ما هو عليه من الاحكام والاتقان وبديع الصنع وعجيب النظم والترتيب
وتركيب الافلاك الدائرة وما فيها من الكواكب السيارة وتسخير الشمس والقمر
دائبين يستفقان فلا يتداركان ويتداركان فلا يختلطان وجعل الليل والنهار
مستمرين على الحالوين احدهما يغشى بقوته وجوه الاشياء ويغطيها ويكثفها والاخر
السالب عن وجوه الاشياء وما يحلها وما ذا يرى وشاهد في آيات الحيوانات من
الحياة والتميز واجهزة التي احتلاب المنافع واجتناب المضار وما فيها من لطائف الحوان
ومجاري الانفاس وما في الاجسام الجامدة من الخاصيات المحاوذعت فيها على وجه
لو تامل علماء العالم وحكماء الانام الموصوفون به بدقة الافكار وجودة الخواطر جميع
العمر لما وقفوا على كنهها ولا على جزء من الف جزء مما فيه من اثار الحكمة ولطائف
التدبير وفيه دليل قاطع لذوي العقول على ان صانع هذه الاشياء هو موصوف بصفات
الكمال من العلم والقدرة والمشية والارادة والحكمة وغيرها عن اضدادها التي هي نقص
فقوله لم يزدد بكونهم شيأ لم تكن قبلهم من صفته وكمالها بصفات ازلية كذلك
لا يزداد بها والمقصود من هذا الكلام اثبات ازلية صفاته تعالى وابديتها اما
كونها ازلية فلانها لو كانت حادثة لكانت قائمة في ذاته او في محل اخر والاول باطل
محال اما الاول فلان ذات الله ليس بمحل للحوادث واما الثاني فلان صيرورة الذات
موصوفة بصفة قامت بغيره كصيرورة المحل اسود بسواد قام بمحل اخر وصيرورته
قادرا بقدرة قامت بشخص اخر وكل ذلك باطل واما الثالث فلان قيام الصفات
لا في محل محال واذا ثبت ان صفاته ازلية بالضرورة تكون ابدية دائمة اذ لو قدر
لا يزال وقيل في اشتقاق الازل والابد ان الازل اسم لا ينضبط القلب عن تقدير
انه من الازل فهو الضيق والابد اسم لما ينفذ القلب عن تقدير لهايته من الابد وهو
التقدير وذكر في الصحاح الازل بالتحريك القدم وهو في الاصطلاح عبارة عن وجود
والابد بما لا انتهاء له قوله ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه
البرية اسم البارئ الخالق والبارئ بمعنى واحد يقال برا الله الخلق والبرية الخليقة
وانما كرر هذا الكلام تاكيدا لمعنى ان الله في الازل متصف بصفات الكمال غير منفك
عن شيء من صفات المدح اذ يستحيل ان تكون ذاته في الازل خالية عن صفات الكمال
لما في ذلك من النقص وهو محال على الله تعالى والتقرب منها يوجب الافتقار الى
حصوله بايجاد العالم والله تعالى غني عن العالمين منفك عن ان تكتسب صفة لم تكن له
بايجاد الخلق قوله معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق هذا تحقيق
لما ذكر اولا وتاكيد له فانه تعالى خالق ورب قبل وجود المخلوق والمربوب لان صفاته
قديمة قائمة بذاته وحاصل هذا الكلام كنفي قول الاشاعرة حيث قالوا ان صفات الذات قديمة
وصفات الفعل كالخلق والايجاد والتكوين حادثة وهو قول عامة المعتزلة والنجارية
والكرامية ونحن نقول ان الله بجميع صفاته وكرمه لان الله تعالى مدح نفسه في الازل
بصفات الفعل بقوله هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى فثبت انه
متصف في الازل بكونه خالقا باريا مصورا ولا مخلوق في الازل ولا مربوب ولا
مصور ولان صفات الفعل لو كانت حادثة في ذات الله يلزم ان تكون محلا للحوادث
وهو باطل وفي محل اخر ولا في محل والكل محال كما قدم مرة قوله ذلك بانه على كل شيء
قدير اشار بقوله ذلك الى ما تقدم من الصفات مثل الحياة والامانة وغيرهما واراد
به انه تعالى موصوف في الازل بانه على كل شيء قدير وان لم تكن المقدورات موجودة

في الازل

في الازل كذا موصوف بسائر الصفات مثل الخالق والمكون وان لم تكن المخلوقات في
الازل ولا نهم يقدرون بانه عالم قادر وسميع بصير في الازل وان يوجب ذلك كون معلوماته
ومسموعاته ومقدوراته في الازل فكذا تكون تكوينه الازلي تكوينا لكل الكون
لوقت وجوده قوله وكل شيء اليه فقير وكل امر عليه يسير معناه كل شيء سواه
مفتقر اليه في وجوده لا وجود الشيء الا بحاده ولا قوام لشيء الا بتقويمه فهو
الغني عن الذي احترز بكل شيء هو الله الغني والفقير او جميع الاشياء يوجد بها لخطاب
كن فيكون فيكون جميع الامور عليه يسير لا يحتاج في احداثها مشقة قوله لا يحتاج
الى شيء لان الحاجة نقص وهو منزه عنه ولان جميع الاشياء مقهور تحت قدرته وموجود
بايجاده فكيف يحتاج الى غيره وقد وصف نفسه بجمال الغنى بقوله تعالى ان الله لغني
عن العالمين قوله وليس بمحتاج شيء وقوله السميع البصير تمام ذكر هذا عقيب نفي
الحاجة عنه لانه ينفي محل لاحتياجه فيه وهو شامل لنفي جميع صفات المخلوقين وسمات
المحدثين ومثبت لصفات المدح والكمال فلو كانت صفات الافعال محدثة كما زعمت
الاشاعرة يلزم ان يكون صفاته مثل صفات المخلوقين في الحدوث والحاجة متنفية
بالنص قوله خلق الخلق بعلمه وقدرهم اقدارا هذا الكلام بيان ان كل امر
يجري في العالم فهو بتقدير الله تعالى سيد ابو حنيفة رضي الله عنه عن القدر فقال
قدر بن الله ذكر وفرا قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فما في العالم شيء الا وهو
داخل فيه ثم القدر على وجهين احدهما الذي يخرج عليه كل شيء على ما جعله عليه من
خير وشر وحسن وقبيح وحكمة وسفة وهو تقدير الحكمة وهو جعل كل شيء على ما هو عليه
ما هو عليه لا يليق به والوجه الثاني في القدر هو بيان ما يقع عليه كل شيء من خير
وشر وما له من الثواب والعقاب قوله وجرى احكامه هذا اعتقاد بان لاحكام الامور
لكل واحد منهم مبرم محكم لا يحمل التقدم والتاخر قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى كتابا موجلا فيه معينان احدهما
كتابا موقتا لا تتقدم ولا تتاخر والثاني كتابا مبينا مشتملا فيه في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه
بقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين قوله لم يخف عليه شيء من افعالهم
وقبل ان تخلقهم وعلم ما هم عاملون معناه لا يخفى عليه شيء من افعال العباد قبل ان
خلقهم فهذا اقرار بسبق علم الله تعالى بكل كائن من خلقه قبل خلقه قبل كونهم
لانه تعالى قدم بصفاته ومن صفاته كونه عالما بكل المعلومات قبل كونهم في
الازل وانما قارن التخليق بالعلم لان العلم بالمخلوق من شرط التخليق قال ابن
كيسان الا يعلم من خلق وقال تعالى وهو الخلاق العليم وقال تعالى وهو بكل خلق عليم
فقرن في جميع هذه الايات الخلق بالعلم قوله وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته
انما ذكر الامر والنهي بعد ذكر الخلق ليعلم ان تعالى انما خلقهم للسعادة بالامر
والنهي قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لامرهم بعبادتي
وانهاهم عن معصيتي قوله وكل شيء يجري بتقديره ومشيته اعلم ان للعباد في ارادة الله
ومشيته وقدرته خبر اختلف اهل السنة والجماعة قال الله تعالى والله خلقكم
وما تعملون اي وعملكم مطلقا وقال تعالى خالق كل شيء وفعل العبد شيء فيكون
خالقه ضرورة وقال تعالى قل كل من عند الله وروى مسلم في صحيحه عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع
علينا رجل شديد بياض الثياب الى قوله اخبرني عن الايمان فقال الايمان
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره
الحديث ومشيته تفيد الامر بالمشية للعباد الا ما شاء الله فما شاء الله كان وما لم يشا
لم يكن لقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين ولان في نفاذ مشية غير الله وعدم
نفاذ مشيته اماره عجزه حاشا جري في ملكه ما لم يشا وهو على الله محال قوله
يهدي من يشاء ويضل من يشاء فضلا وعدلا ويضل من يشاء وخذله وعدلا
من يشاء عدل وكلهم يتقلبون في مشيته بين فضله وعدله بين يهدي ويضل
لا يستحقون على الله وجوب مراعات الاصلح بل يتصرف فيهم كيف شاء لان العالم

اخرج عن العارف قال اخبرني رجل
قال اخبرني عبد الله بن يوسف قال
حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق الله الخلق فلما فرغ من الخلق
قال الرحم قمت هذا مقام العائذ بك
من القطيعة قال نعم اما ترضين
ان اصل من وصلك واقطع من
قطعك قالت بلى قال فذلك لك
ثم قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم
اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم
واعمى ابصارهم
كيف شاء النقص
من تاريخ الخلال المؤرخ

قائمة بذاتة ايضا باطل لان الحروف تتوالى ويقع بعضها مسبوقا ببعض وكل مسبوق حادث
ولان الحروف لا تتصور الا من الاله وهي للخلوق اشنعة وغير فهما فيلزم منه التجسم تعالى
الله عن ذلك وانما قالوا انزل على نبيه وصاحبه تعالى وافق الى هذا القرآن لا انذركم به وقوله
تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب وانما قاله وصدقه المؤمنون على ذلك حقا لان الصحابة
شهدوا بانزاله على الرسول وتحققوا انجازه وصدقوا بكونه كلام الله ثم نقلوه الى من
بعدهم بالتواتر كما نقلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا الخلق الى اقامة
حكمه اعتقادا وعملا وذكر دليل على تصديقهم قوله وان احد من المشركين استجارك
باحقيقة اي عملوا باليقين ان القرآن كلام الله تعالى بالحقيقة كالعلم والحياة وسائر
الصفات وفيه رد لمذهب المعتزلة حيث قالوا انما سمي القرآن كلام الله بطريق المجاز
لانه خالقه قلنا هذا فاسد فان المتكلم حقيقة من قام به الكلام لا من خلق الكلام كالعالم
من قام به العلم لا من خلق العلم في غيره اذ لو اضيف الكلام مع ان لم يقم به باعتبار انه
خالقه لا يضاف الى الراد وسائر الالوان المختلفة لانه خالقه قوله فمن سمعه
وزعم انه كلام البشر فقد كفر نحمد الله تعالى على نعمة الاسلام والايمان الذين كانوا يطعنون فيه بانه قول
محمد يقوله من تلقاء نفسه من غير ان يوحى اليه من ربه وقد ذمه الله تعالى اي على كلامه
واوعده بسقر اي بعذاب النار لمن قال انه كلام البشر حيث قال لخبار ان هذا الا قول
البشر ساصليه سقر قوله فلما اوقد الله سقر لمن قال ان هذا الا قول البشر علما
انه قول خالق البشر والبشر به وقوله البشر في اصر هذا اعتبر وعن مثل هذا
قول الكفار انزهه هذا الله تاكيد لنفي حدوث الكلام او جعله من جنس الحروف والاصوات
مما يقول المخلوق فان من قال بخلق القرآن وحدوثه وانه من جنس الحروف والاصوات
فقد وصف البارئ بما يوصف به البشر فكونه هذا القول مما يقول الكفار
الذين قالوا ان هذا الا قول البشر لما فيه من تشبيه الخالق فمن تامل في هذه المعاني وبحث عنها
وفهمها وقع له الاعتبار ووجب عليه الانزجار عما يفعله الكفار قوله فاعلم ان الله موصوف
بصفاته ليس كالبشر فان صفاته قديمة قائمة بذاته ليست بقابلة للزوال والصفات
البشرية كذلك لانها قابلة للزوال والفناء والكيفيات والكميات والله تعالى منزه عن ذلك كله ليس كمثله شيء قوله
والرؤية حق لاهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية
ما تطق به كلام ربنا جل وعلا كل ما جاء في ذكر من الحديث الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قاله ومعناه على ما اراد
واراد ان يثبت بان رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار للابرار حق فنرد به لان مكان
ولا عبرة بوصول شعاع او ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى وقهر المراد تقوله
بلا كيفية ومقصوده الاعتقاد باصل الرؤية وعدم الاشتغال بالكيفية وانما قال
غير محاطة لان الاحاطة وهو الادراك بالحوانب محال على الله تعالى لانه ليس بجسم
حتى يكون له نهايات فندرك بها وعليه يحمل قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار لما تقرر انه كما ان ربنا وهو قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ونفيه
عما اراد الله تعالى وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو كما قاله ومعناه على ما اراد والنظر المضاف الى الوجه المقيد بكلمة الى لا يكون الا نظر
العين وحمل النظر على الانتظار المنغص في دار القرار وسمع وقوله تعالى في قصة
موسى رب ارني انظر اليك وجه التمدح به ان موسى عليه السلام سال ربه الرؤية
ولا يطلب الرب لما قد يحال عنده فكان سؤاله دليلا انه اعتقده جائز الرؤية فمن
اهال الرؤية فقد نسب موسى الى الجهل بالخالق وهو كفر وقوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر الى
الله تعالى وقوله تعالى يختصهم يوم يلقونه سلام والتقاهر الرؤية وهو قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فتخصيص الكفار بالحجاب دليل على عدم الحجاب
للمؤمنين ولا يلزم ان يكون الانزار في الحجاب مساويا للكفار وانما ذلك من الايات
الدالة على جواز الرؤية لكثرة من انكر ان يحصى وانما الحديث الصحيح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهو قوله عليه الصلاة والسلام انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترونه

القمر ليلة

القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في عدم الشك والمرية فيها
لا تشبيه المرئي بالمرئي وقوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول
الله تبارك وتعالى لاهل الجنة تريدون شيئا ازيدكم فيقولون يا رب الم تبيض وجوهنا
الم تدخلنا الجنة الم تنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من
النظر الى ربهم تبارك وتعالى فيكون النعيم اذا رآوه فباحر ان اول الاعتزال
فلا ندخل في ذلك متاولين ولا مشبهين ثم ثلثوا هذا رد على المعتزلة
حيث اولوا قوله تعالى الى ربها ناظرة الى بمعنى واحدة الالاء بمعنى النعمة كقوله
فاتى الارض فلذبان فيكون لفظ النظر عاريا عن حرف الى فيكون المعنى وجوه يومئذ ناضرة
الى نعمة ربها ومنتظرة لها وهذا التاويل مع بعده فاسد لان حمل النظر على الانتظار
الذي هو موجب للحزن كما قبل الانتظار موصوف بالحسن في دار السرور سمج وحملهم على هذا
التاويل الفاسد وفهمهم الباطل والهوى التي هي من المهلكات حيث تركوا الطريق
الواضح واتبعوا الهوى قوله فانه ما تكلم الله سبحانه وتعالى بكلامه الذي هو
وكلم الله موسى تكليما ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه اي قال الله تعالى
يجب على كل مسلم تسليم ما شاء كونه من الله تعالى ومن رسوله سواء علم الحكمة فيه او لم
تعلم ولا تزد لك بسبب عدم ادراكه فان عقول البشر قاصرة عن ادراك حكم الله
تعالى لان العقل جزء من اجزاء العالم فكيف يحيط بحكم الربوبية من اراد سلامة
دينه يجب عليه ان يرد علمه ما اشتبه عليه الى الله فانه العالم بحقايق الاشياء
ويتكلم عن تاويل المتشابهات فان فوضا تاولوا ابراهيم فنفوا الصفات وعطلوها
وقوم حملوا على ظواهرها فوقعوا في التشبيه والتجسيم فصاروا ممثلة ومشبهة
وحظ الراسخ الايمان بالمتشابهات وترك التاويل والوقوف على قوله وما يعلم تاويله
الا الله كما هو مذهب السلف وهو اسلم من مذهب الخلف الذين يؤولون بما لا يلزم
من تشبيه ولا تعطيل قوله فالتسليم والاستسلام
لان الاسلام هو التسليم لله تعالى في كل ما ثبت من خبره فالمسلم من جعل الاشياء كلها
تسليمه لله لا شاذ كر معه احدا وفي كلمة ظهر تشبيه فانه لما اثبت
للاسلام قدم الاسلام عليه لان الاسلام هو انقياد لله ولا يتحقق الا بالتسليم
وترك الاعتراض على احكامه وحكمه قوله ومن لم يسلم ما خطر عنه عليه فلم يقع
التسليم فهو حيرة مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح
الايمان معناه ان كل من لم يقع بالتسليم لما ثبت من الله ورسوله وطلب الوقوف
على ما خطر اي حجب عن الخلق عن علمه كان مرامه اي مطلوبه محكما وعن الاعتراض
موجب الاسلام فيصير برايه الباطل محجوبا عن خالص التوحيد وصافي المعرفة
وصحيح الايمان فان من عرف الله بالحكم والكمال والربوبية وعرف نفسه بالعجز
والجهل والعبودية سيقع تحت التسليم والتسكر والرضى بما قضى الله ولا يطلب
وجه الحكمة من الله بل يفوض العلم والحكمة الى العليم الحكيم فانه ليس للعبد
ان يطلب الاطلاع على اسرار المولى بل يجب عليه الانقياد له يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا يسل عما يفعل اذ العبد يرضى بالتسليم ويطلب معرفة كنه حكمة الله تعالى
وعقله قاصر عن ادراك ذلك فيقع متردد بين التكذيب والتصديق والايمان
مع التردد والاسلام مع التحكيم وهذا قال في الكتاب فيتذبذب اي يتردد بين
الكفر والايمان والتصديق والتكذيب والاقرار والانكار متحيرا
يوسوس الشيطان والقاء الشبه عليه شاكا اي حيران في تلبه المعارف التي
حار فيها العقول شاكا فيما يجب تسليمه عليه زائغا
لا موما مصيبا فلا يجمع ما حاز من الله بالتسليم ويفوض العلم الى الله تعالى
فلا حاجة اذا لان التكذيب لا يبقى مع الشك واستوا الطرفين وقد اخبر الله تعالى
ان اتباع ما تشابه زيغ حيث قال فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه فالحاصل ان الضال والمبتدع رجحه الله اختار في المتشابه مذهب السلف وهو ترك
تاويله وهذا القول هو الراجح عند التحقيق لان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم

اي من التاويل الذي هو لا يلزم
التشابه المرئي بالمرئي كما مر
الناصرة وتشبيه الخالق
المرئي وهو حجة لا تشبيه
وهو معنى ما ذكر انتهى حاشية

قوله الا ترى انه مستعمل بالى لا يكون
والنظر المستعمل بالى لا يكون
الا الرؤية في معظم الاقوال وضرورة
لحمله على النظار بتقييد اذ الرجاء
اليه فافهم حاشية

دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا ان المراد بعض مجازاته لذلك الحقيقة
وفي المجازات كثرت وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالمرجحات الغير القطعية فلا
يفيد الا الظن والقول في المسئلة القطعية بالدليل الظني غير جايز وفي التاويل يلزم
ذلك مثلا دل الدليل القطعي على ان الحقيقة من قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
غير مراد لانه يمتنع كون الاله في مكان فصرف اللفظ الى بعض تاويلاته لا يتصور
بالدليل القطعي والقول بالظن في ذات الله تعالى وصفاته غير جايز فتعين
السكوت وترك التاويل ونقيضه تاويله الى علم الله الله مع اعتقاد ان الظاهر
غير مراد منه وكذا حكم سائر الايات المشابهة قوله لا يصح الايمان بالرؤية
الا بكل دار السلام لهم عند ربهم وهم اوليا بما كانوا يعملون اراد بهذا
دار السلام قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام وفي تسميتها دار السلام
وجهان احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى فاضيفتا اليه تعظيما له وثانيهما
انها سميت بدار السلام لان من دخلها سلم عن الافات والعيوب والنقايص
التي لحقت في دار الدنيا فيكون معناها دار السلام ويحتمل في وجه التسمية بها
وجها اخر وهو ان اهل الجنة لكثرة ما يسلمون فيها سميت بها قال الله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما واتينا الملايكة يسلمون عليكم فقال
تعالى سلام عليكم طبتم وانما لا يصح الايمان بالرؤية لمن اعتبر الرؤية بوهم
الوهم انما يقع على موهوم جزئي تتطبع صورته في الحواس لان الوهم يدرك الجزئيات
غير مجردة عن المواد وذلك في حق الله تعالى محال لمن جوز الرؤية بهذا المعنى
فقد ابطلها ومن يومن بها وانما لا يصح الايمان بالرؤية لمن تاولها بغيرهم لان العقل
يكون تامل العقل بحصوله ما هيته فيه وفهم المعنى الذي يضاف الى الربوبية لا سبيل
للعقل الى دركه اذ هو محار العقول تحيرت في بيداء الالوهية انظار العقل وادلته
وابحاثه دون ادراكه طرق الفكر والمحاوة فلذلك قال لا يصح الايمان بالرؤية الا بترك
التاويل وهما وفهما ولزوم التسليم في كيفية الرؤية لان الربوبية متزهة عن الماهية
التي يدركها العقل والكيفية والكمية المدركة بالوهم قوله لا بترك تاويلها والزوم
التسليم وعليه دين المرسلين هذا استثناء عن قوله لا يصح الايمان يعني لا يصح
الايمان الا بترك التاويل في كيفية الرؤية ولزوم التسليم فيها ولهذا لما اوات المعتزلة
وقالوا بان الرؤية لاخص الاعمى لان الرائي والمرئي مع عدم البعد والقرب المفرطين
وانصباب الشعاع قد حالوا الرؤية فلو تكلموا عن التاويل وامتنعوا تاصل الرؤية
لما وقعوا في الانكار رد بن الانبيا والاولياء ترك التاويل ولزوم التسليم فالله
تعالى قال ان هدي الله هو الهدى وامرنا ان نسلم لرب العالمين وقال تعالى في قصة
الخليل عليه السلام اذ قال لربه اسلمت قال اسلمت لرب العالمين وقال تعالى في قصة
بوهم والاهتداء بطريقهم فمن اعرض عن طريقهم فقد حاد عن الحق بغيه قال الله
تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه والنبي عليه السلام امرنا باتباع
ملة ابراهيم بقوله ان اتبع ملة ابراهيم واكثر الانبياء يدعون الامم الى اتباع ملة
ابراهيم عليه السلام قوله ومنا من ينوف الى التشبيه ذلة ونصب
التنزيه من لم يجتنب نفي الرؤية التي اثبتها الشرع ولم يجتنب التشبيه الذي
هو خلاف العقل والنقل زل عن الحق ووقع في الباطل ولم يصب التنزيه الذي
يطلبه نفي الرؤية واثبات التشبيه كما هو مذهب المعتزلة والمشبهة فالحاصل ان
المعتزلة نفوا رؤية الله تعالى بزعم انهم ينزهون عن ذات الله عن ان يرى كما يرى
الاجسام والجسمية يشبتون رؤية الله تعالى لكرامة الاجسام ولا يلزم منه التفضيل
وان ما لا يكون محسوسا عندهم لا يكون موجودا فنفوا الله تعالى عن التفضيل
بانسان التشبيه في الرؤية فاراد الطحاوي رحمه الله نفي هذين المذهبين فقال من
اراد التنزيه ينفي الرؤية واثبات التشبيه فقد زل عن الطريق الحق ولم يصب
من التنزيه الذي طلب فخاب سعيه واشار الى الدليل على نفي الجهة فقال فالله
ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ولونه

مريبا

اذا كان تاويل الرؤية
وتاويل كل معنى يضاف
الى الربوبية التعطيل

سلمون عليهم

مريبا من صفات الكمال لان المحوز للرؤية كونه موجودا وكل موجود لا يمتنع رؤيته فلو قلنا
بامتناع رويته يلزم منه نفي الوجود واثبات العدم تعالى الله عن ذلك والمعتزلة ينفي الرؤية
لا لارادة التنزيه وقعوا في امر باطل ولم يصيبوا صاطلبوا ولذا كون صفات الله غير مشابهة
لصفات الانام من الكمال فانه الواحد القهار ربديع السموات والارض كيف تكون صفاته
مخلوقة ومشابهة لصفاته وفيما ذكره الجسمة من اثبات الجهة والمكان وتشبيه
رويته لرؤية الاجسام اثبات نقص في ذاته وصفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
فهم اخطاوا فيما زعموا انهم اراد وا باثبات التشبيه نفي التعطيل والى نفي مذهب
المشبهة اشار بقوله ليس في معناه احد من البرية فلا يتوهم في رؤية الله
مثل ما يتوهم في رؤية المخلوقات من المحاذات وانصباب الشعاع اما يراه اهل الجنة بغير
احاطة ولا كيفية كما عرفوه في الدنيا بلا كيفية ولا احاطة قال الله تعالى فزدته عن جميع جهات
التركيب فان كل مركب مفتقر الى تحيزه وكل مفتقر محكم حادث فلا يكون فردا فيوما
ان يثبت الواجب الفرد وكل ممكن في ذاته لا يكون في حيز ولا في جهة ولهذا قال تعالى الله
عز وجل عن الحدود والغايات والارکان والاعضاء والادوات اي للمعدوص
الحدود وهو المحصور المقهور تحت قهر الحد وهد قهرها رفلا يكون محدودا والغاية عبارة
عن النهاية والاركان الواحد والاعضاء صفات الاجسام والادوات الات الاجسام والوهم
سحانه وتعالى منزه عن هذه الاوصاف كلها لا تحويه الجهات الست كسائر
المبتدعات لان قوله تعالى ان يكون مثلا لشي لفظه ليس كمثله شي وفي اثبات الجهة
والحيز اثبات المماثلة مع الاجسام وفي وصفه بالجهات قول باحاطتها له وفي القول
بالتمكن بالمكان اثبات الحاجة الى المكان وفي ذلك الحاق الحدوث وازالة قدمه والجهات
والامكنة من احوال العالم وهو منزه عن العالم وأحواله وان الجهات الست فحدوثه
وهي اوصاف للعالم الحدث والله قديم كان ولا مكان ولا حين ولا زمان كان الله ولم يكن
معه شي فالله تعالى في الازل ما كان في الجهات لعدم الجهات في الازل فلو يصير في
الجهات بعد احداثها لتغير عما كان عليه وانتقل والتغير والانتقال من امارات
الحدوث تعالى الله عن ذلك وفي عدم الجهة بطل ظاهر النصوص مذهب السلف
ان نصدقها ونقوص تاويلها الى الله تعالى مع التنزيه عن التشبيه ولا نشتغل
بتاويلها بل نعتقد ان ما اراد الله تعالى بها حق وهذا الطريق اختاره الطحاوي يرحمه
الله ومذهب الخلف ان يؤولها بما يليق بذات الله تعالى وصفاته ولا نقطع بان مراد الله
تعالى هو دليل يوجب القطع على المراد وقال المراد بقوله تعالى وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله ثبوت الهيته وفيها لا ثبوت ذاته كما يقال سلطان في القرية والبحر وقوله
وهو القاهر فوق عباده الفوقية من حيث القهر والمكان لا من حيث العلو والمكان فابيه
لا يعدح فيه اذ كل حارس فلا بد ان يكون فوق المحروس في المكان وطريقة السلف اسلم عن الوقوع
في تاويل لا يكون مرادا وطريقة الخلف احكم قوله وانه اسرى بعبده ليلا وقد اسرى النبي صلى
الله عليه وسلم اما الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فثابت بالنص وهو
قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله فكان في ذلك ظهور المعجزة فان قطع مسافة شهرين في لحظة وعرج
بشخصه في البقظة الى السماء ثم الى حيث شاء الله تعالى من العلا الرفيعة
الله بما شاء واوحى اليه ما اوحى وهذا ثابت بالاحاديث الصحيحة دون الكتاب
منها ما روى ابو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى قال بينما
انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع بين النايم واليقظان اتاني ان فشق ما بين
هذه الى هذه فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي فحشي
ثم حشي فاعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند منتهى
طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى بي الى السماء الدنيا فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل وقيل ومن معك قال محمد عليه السلام قيل وقد ارسل اليه
قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا انا بها ادم فقال هذا ادم ابوك
فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح

قال بعضهم اعلم ان الله تعالى قد
ورد في القرآن وصحت الاحاديث بكثير
مما يتبين عن ظهره فيه والله تعالى
ورد في القرآن والاحاديث باشياء
والانسان والنزول فقد ظهر من ذلك اتفاق
المعنى الذي اراده الله سبحانه
بما ذكر هو الذي اراده سبحانه
ولا على ما هو معلوم ذلك المعنى
ملاحظ قارئ

الى اخر حديث المعراج وقال بعضهم المعراج ثابت بالكتاب ايضا وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى والصحيح ان هذا الغرب كان مع جبريل ودليله قوله تعالى وهو بالافق الاعلى وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله جبريل ان يريه نفسه على صورته التي خلقه الله عليها فوعده ذلك بغار حرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الافق الى المغرب ثم دنا فتدلى بهذا من باب القلب اي ثم تدلى اي جبريل فدنا محمد عليه السلام وكان منه كما قوسين اي قدر مسافة قوسين او ادنى والمعنى انه بعد ما راه النبي عليه السلام على صورته كما انه من عظمته فرده الله الى صورة ادنى حتى قرب منه للوحي وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده اي عبد الله ومحمد صلى الله عليه وسلم اوحى الله عز وجل بلا واسطة جبريل عليه السلام قوله والحوض الذي اكرمه الله به عيانا لامته حق والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الاخبار اما الحوض فلما روي ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المصحية المظلمة آنية الجنة من شرب منها لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة طوله ما بين عمان الى ايلة وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل رواه مسلم وفي رواية انس سئل النبي عليه السلام ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه الله في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل رواه الترمذي وانما قاله عيانا لامته اذ الناس عند شدة عطشهم لدنو الشمس منهم وعظم كربهم يردون عليه فيكون عيانا عند ماسة الحاجة في كربات الموقف يوم القيامة فيكون كبطشان في البرية ورد عليه حوض ماوه ابرد من الثلج واما الشفاعة فلما روي البخاري عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فيأتوني فاقول انا لها فاستطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاقوم بين يديه واحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم اخر ساجدا فيقول يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقول انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من الايمان فاخرجه منها الى ان قال فمن كان في قلبه ادنى من مثقال حبة من خردل من الايمان فاخرجه من النار وروى جابر ان النبي عليه الصلاة وسلم قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي رواه الترمذي وقوله والميثاق الذي اخذه الله تعالى من آدم صلوات الله عليه وذريته حق دل عليه قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولكن العلماء اتفقوا اخذ الميثاق ولم يكشفوا في كيفيته لكونه من المتشابهات واوجبوا حقيقته لورود الكتاب وذكر الشيخ ابو منصور في تاويلاته عن بعض اهل التاويل ان الله تعالى انما قال الست بربكم عند ما خلق آدم عليه السلام واخرج من ظهره كل من يكون من ذريته الى يوم القيامة مثل الذر فعرض عليهم الست بربكم قالوا بلى ثم اخذ ميثاقهم فيما بينهم فمنهم من قال انه حملهم بالمبلغ الذي يحرض على مثلهم فلم التكليف بان جعل فيهم الحياة والعقل وهو قول الحسن البصري ومنهم من قال عرض ذكر على الارواح دون الابدان وقال بعضهم خلقهم صفين فقال هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي وما عرض عليهم قوله الست بربكم وقال بعضهم عرض على الكل التوحيد فقال الست بربكم واعلمهم ما عليه احوالهم في الدنيا من الفقر والغنى والاهل وغير ذلك فقوله وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وندخل النار جملة واحدة فلا نزاع في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك افعالهم فيما لهم فيما عليهم ان يفعلوا انما ذكر هذا الثبات لبعة علم الله عز وجل وادلته ولاثبات القضاء والعدد قطعا لما دون الشك في القضاء والعدد رد فعالتلبيس اوهام القدرية حيث قالوا ان يعذب الله تعالى على ما

قضاه

قضاؤه وقدرة فبين الله بقوله قد علم الله الى اخره ان من يدخل الجنة يرضى ويطيع عن اختيار فعلم عددهم وان من يدخل النار يكفر ويخالف الامر عن اختيار لا عن جبر واضطرار فتعلق ان لا يعلم من خلقهم الا يعلم من خلق وهذا لطف الخبر فلما قضى الله وقدر على الطائفتين بذلك وحكم له على علمه بعددهم اذ القضاء لا يكون بدون العلم وكما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فكيف لا يعلم بعدد من يدخل الجنة والنار وكذا افعالهم لما خلق له فيكون عالما بها قوله فكل ميسر لما خلق له قال جابر رضي الله عنه جاء سراقة بن مالك رضي الله عنه فقال يا رسول الله بين لنا دينا كأنا خلقنا الان فيما العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال فقضى العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل يعمل رواه البخاري ومسلم وفي حديث آخر اعملوا وقاربوا وسددوا وكل ميسر لما خلق له قوله والاعمال بالخواتيم لما روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة رواه مسلم وورد ايضا ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا باع او ذراع فتدركه الشقاوة فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يبقى بينه وبين النار الا باع او ذراع فتدركه السعادة فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة قوله والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى لما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك فيبعث الله له ملكا باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح رواه البخاري ومسلم قوله واصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والتطرق لذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان القدر جعل كل ما هو دافع في العالم على ما هو عليه من خير وشر ونفع وضر وبيان ما يقع على ست القضاء في كل زمان ومكان وهو تاويل الحكمة والعناية السابقة الازلية قال الله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فتكون عقولنا البشرية صاغرة عن الاحاطة بكنه الحكم الالهية والبصائر خاسرة عن ادراك الاسرار الربانية فيكون القدر من المغيبات الذي استاثره الله بعلمه وجعله سرا مكتوما عن خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فيكون التعمق فيه وسيلة للخذلان والتعمق في طلب الوقوف على الحكمة التي كتمها الله تعالى عن الخلق يكون ذريعة للخذلان اذ الخذلان بغير الذي منع بسبب خلافه عن البصيرة والتطرق بالحق تعالى باستمراره على النظر فيما منع عن النظر فيه يصير نظره سببا للحرمان عن الكمال على الحق ثم اذا اكمل ولم يرجع عن طلبه يشقى الى درجة الطغيان وهو المجاوزة عن الحد المعقول للعبد فانه ليس للعبد المنازعة في احكام مولاه ولا الطلب لاطلاع اسراره فلذلك ذكر رب هذه الكلمات على هذا السبق قوله فاحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة هذا ما نهاه في الخبر عن طلب ما حجب عن العباد علمه فان الله طوى علم القدر عن الامر والنهي فهم عن المرام فيما قال تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين وانما نهاهم عن الخوض في القدر لانه امر لا سبيل الى معرفته قوله فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو مستنير قلبه من اولياء الله تعالى اي انما يعلم بهذا ويقف عليه ويعمل بمقتضاه من نور الله قلبه بالغين من الاوليائه قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ثم ذكر لهذا تقليلا بقوله وهم درجة الراسخين في العلم لان العلم علمان علم في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود

فانكار العلم الموجود كفر وادعا العلم المفقود كفر ولا يثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود
وترك طلب المفقود العلم المفقود العلم الموجود في العالم والخلق هو ما علم بالدلايل الظاهرة
والبراهين الباهرة كما علم بالصانع علم نصبه عليه من دلايل الوجد انية وقدرته وحكمته وبراهنه من
علمه وقدرته وحكمته وبراهنه من آيات النقض وامارات الحدث وجميع صفات الجلال
والاكرام وكما علم جميع الاواصر والنواهي كما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من الشريعة
الغراء الكائنة بالفعل من بيان المعجز ومن بيان الحلال والحرام فهذا العلم كله موجود في
الخلق فيكون انكاره كفرا واما العلم المفقود فهو ما تعلق به علم الله تعالى مما لم يوجد في
الغيب الذي استاثر بعلمه وكتم علمه القضاء والقدر وقيام الساعة كما قال الله تعالى
قل لا يعلم من في السموات والارض الا الله وقال لا يجليها لوقتها الا هو فادعاء هذا
العلم وطلبه كفر ايضا لانه دعوى المشاركة مع الله فيما استاثر به قوله ويؤمن باللوح
والعلم وجميع ما فيه قدر رقم ولو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه انه كائن
ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله فيه انه كائن
ليجعلوه كائن لم يقدروا عليه وحق العلم بما هو كائن الى يوم القيامة اضافة اللوح
فثابت بقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ والقلم بقوله تعالى ن والقلم وما
يسطرون فيجب الايمان بهما واما الايمان بجميع ما فيه رقم فبقوله تعالى وكل شيء
احصيناه في امام مبين فقيل هو اللوح المحفوظ وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر
وبما روي عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بني انك
لن تجد حلاوة الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له
اكتب فقال يا رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء الى يوم القيامة اخرجه ابو
داود والترمذي وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال خرج علينا صلى الله عليه وسلم
وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي
في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء ابايهم واسماء قبايلهم
ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب
من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء ابايهم وقبايلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم ابدا قال الصحابة ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال
سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل كان ثم قال
فدعا الله عليه وسلم اي اشار بيده فنفضهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة
وفريق في السعير وبالالفاظ المذكورة في الكتاب كلها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم
بعضها بالفظ وبعضها بالمعنى وهي مستغنية عن الشرح قوله وعلى القديم تعلم ان
الله سبحانه وتعالى علم ان كل عين من خلقه فقدر في ذكر بمشيته تقديرا محكما مبرما
ليس له ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص ولا رابد من
خلقه في سمواته وارضه هذا تصريح باتيان الزلية عليه الله تعالى وصفته وباثبات
القضاء والقدر بما هو كائن من خلقه وتقدير كل شيء على ما تقتضيه حكمته البالغة
من حسن وقبح وخير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية وغي ورشد في قوله
لا معقب لا مرجع لحكمه الى قوله في سمواته وارضه اشارة الى انه هو المقدر بالحكم
والتدبير والغالب في امره لا شريك له في ذلك احد وقد مر تحقيق البراهين على ذلك قوله
ولا تكون تكوين الا تكوينه وتكوين لا تكون الا احسانا جملا اعلم ان التكوين والتخليق
والايجاد والاحداث والاختراع كلها اسماء مترادفة معناه اخراج المعدوم من كتم العدم
الى ظاهر الوجود وانما خص لفظ التكوين افتتاحا بما لسلف فانهم قالوا التكوين غير المكون
وهو صفة ازلية قايمة بذات الله تعالى تجمع جميع صفاته وهو تكوين للعالم ولكل خرء منه في
وقته وحوده وهذا الان العالم حادث بحدوث الله ولو لم يكن الاحداث صفة لم يكن العالم
حادثا باحداثه وينبغي ان يكون قديما اذ لو كان حادثا لاحتاج الى تكوين احداث التقدير
ان جميع الحوادث يحتاج الى تكوين الله تعالى وتسلسل او تنتهي الى تكوين قديم
ولانه لو كان حادثا فاما ان حدث في ذات الله فيكون التكوين صفة له لان صفة

الشيء لا تقوم بغيره اذ لو قام بغيره لكان هو المكون دون الله وقول الاشعري بان التكوين
وما هو من صفات الافعال كالاحياء والاماتة حادث مردود لان العالم وجميع ما كان
عنده ايضا وهو مكون وخطاب كن كلام ازلي قديم قايم بذات الله ليلزم على مذهبه
فجعل التكوين حادثا تناقض في مذهبه وقولهم بان التكوين هو المكون ايضا مردود
اذ التكوين صفة قايمة بذات الله ازلية بخلاف المكون والقول باحدهما كالقول بان
الضرب عين المضروب ولا يلزم من قدم التكوين قدم المكون اذ وجود المكون
موقوف على تعلق التكوين وقت الوجود فيكون ذاته قديما وتعلقه حادثا كسائر
الحطابات الازلية واذا ثبت ان التكوين صفة قايمة بذات الله تعالى لا يكون الا حسنا
جميلا قوله فهذا من عقد الايمان واصوله المعرفة في الاعتراف بوحدانيته
ربوبيته كما قال الله عز وجل لكان امر الله قدرا مقدورا وقال الله تعالى
وخلق كل شيء فقدره تقديرا فهذا اي جميع ما سبق من العقايد المذكورة في القضاء
والقدر وغيرهما من عقد الايمان لانه من لم يعرف بسبق القضاء والقدر على مقتضى
الحكمة البالغة فقد سلك في علمه الازلي وعقايده وفي ذلك يتطرق الخلل في
الاعتقاد في الوهيته وفي اثبات الخلق لغير الله تعالى توحيد الصانع وافراد
واثبات من شاركه في ايجاد الحوادث وفيه ابطال الحلل في عقد الايمان نعوذ بالله
من الخذلان قوله فويل لمن صار الله في القدر خصيما واخصر للتظنون فيما
سبقها لقدر الله سر في خلقه لم يطلع على سره ملك مقرب ولا نبي مرسل
ومما تاكيد وتصريح بذمهم من انكر القدر وسماه خصيما لله لانه سعى بيان بالدلايل
القطعية في اثبات القدر فمن ينكره فقد نازع الله فيما اثبته فصار خصيما له
فتحقق الذليل وانما سماه سقيم القلب لاريبة فيما ثبت بالادلة القطعية فمرض قلب
وتخلله الوقوف على مضمون سر كتمه الله عن خلقه وصرح بكونه افاكا اثيما اذ لا افاك
ومرتكب الكذب والاثم هو الفاجر كثير الاثم وذلك بسبب انكاره ما ثبت من الله بالادلة
القطعية قوله والعرش والكرسي حقا كما بين في كتابه وهو جل وعلا منفي
عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد اخبر الاحاطة به خلقه
ذكر الله تعالى العرش والكرسي في كتابه العزيز ولم يبين ماهيتهما سوى ان قال
وسع كرسيه السموات والارض وقال رب العرش العظيم فذهب بعض اهل التاويل
ان الكرسي كناية عن العلم وقال بعضهم ان العرش عن الكرسي وقد ذكر الله تعالى العرش
مضافا الى حملة صفاته الملايكة بقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله وذكر
مطلقا بقوله رب العرش العظيم وقال ايضا حافين من حوله العرش فالعرش المقيد
بالحمل فالمراد السرير المحمول عليه الملايكة وقال بعضهم ان العرش المذكور
مطلقا يحتمل ان يراد به الملك والمذهب الصحيح عند علمائنا ان كل ما ثبت بالكتاب
والسنة ولا يتعلق به العمل فانه لا يجب الاشتغال بتاويله بل يجب الاعتقاد به
بشرويه وحقيقة المراد به وانما قال هو منفي عن العرش وما دونه نفيا للتوهم
الحاصل الى المتمكن على العرش والتحيز في الجهة كما قال الخصم فان العرش جادث
باحداثه فتقبل خلقه كان منتفيا عن المكان فلو تمكن عليه بعده صار صفة قدر
الهيه ومن امارات النقص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واراد باحاطته بكل
شيء احاطته بالعلم لا كاحاطة الظرف على المظروف لان ذلك من خصايص الجسم
والله تعالى منزه عنه واراد بقوله وفوقه العرشية من حيث المكانة والقهر والغلبة
لا من حيث المكان كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده اذ لا يمدح في غير الفوقية بالقهر اذ الحارس قد يكون فوق السلطان من حيث المكان قوله وتقول بان الله
اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما ايمانا وتصديقا وتسليما اذ ثبت
بنص القرآن انما قاله ايمانا وتصديقا وتسليما لدفع توهم النصارى حيث قالوا
شميتهم عيسى بالولد على اتخاذ ابراهيم خليلا وهذا قياس باطل لان الولد
لا يكون الا من جنس الوالد والله يتعالى منزها عن المجانسة مع البشر وما
اتخاذ الخليل فلا يوجب المجانسة بل يوجب القرب والكرامة فافترقا وانما اكد

وقوله وكلم موسى تكليما بالمصدر دون غيره مما تطعن به الكتاب ليعلم انه كلمه حقيقة بكلام هو صفته
دفعا لارادة المجاز فقوله وتؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين
وتشهد انهم كانوا على الحق المبين اشهاد اشارة تقوله تعالى والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فالايمان بالملائكة ان تؤمن
بانهم اشخاص روحانية في تركيب الحيوان يتردون ويصعدون الى السماء بادن
الله لذلهم بذكر الله في تسبيحهم بعبادته ومعرفته لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون واما الايمان بالنبيين فهو ان تؤمن بان الله اصطفاهم لتبليغ
الرسالة واكرمهم بالرسالة بينه وبين عباده ليست ممكنة بل هي عطية يتطول
اليه لمن يشاء من عباده على ما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم مفضلون
عن العاصي وهم افضل من الملائكة وبعضهم افضل من بعض واما قدر ما
الملائكة على الانبياء في الذكر والايمان بهم لان الله تعالى انما يوحي الى الانبياء بواسطة
الملائكة قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك فلهذا السبب قدم ذكرهم واما الايمان
الايمان بالكتب فهو ان يؤمن بانها وحي من الله تعالى الى رسله اما سماعا منه بلا
كيف او بلاغا من الملك المنزل ليس للنبي ولا للملك فيها تصرف في النظم ولا في المعنى
وتشهد ان الانبياء كانوا على الحق المبين الظاهر بالمعجزات الباهرة والدلايل القاهرة
قوله وسعى الهك فقلتا مؤمنين اما ادوا ما تحملوه به النبي صلى الله عليه
وسلم مؤمنون وقوله بكل ما قاله واخبر مصدق فيه لقوله عليه الصلاة والسلام
من صلى الى قبلتنا وكل ذبيحتنا فهو مسلم فاذا كانوا مؤمنين بما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم من الشرع والذين وصفتهم بالتوحيد ومتمسكين بالشريعة سميهم
موحدين ويحكم عليهم وكلهم بجميع احكام المؤمنين وذراريهم ظواهرهم وبواطنهم
الى الله لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت لانوفي الظواهر والله يتولى السرائر
وانما قال مادا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين لان مجرد التوجه الى
قبلتنا لا يدل على الايمان ما لم يصدق النبي فيما جاء به من الشريعة فان الغلاة منهم
الرافضة الذين يدعون ان جبريل غلط في الوحي لمحمد فان الله ارسله الى علي فعدل
قالوا بانه اله فهؤلاء وان صلوا الى القبلة ليسوا مؤمنين والخوض في ان الله عز وجل
ولا يتكلم في الذهن معناه ولا تتكلم في ذات الله وصفاته تمسكا بعض العقل من غير اتباع ما
ورد به الكتاب والسنة الذي هو الاصل في اسماء الله وصفاته التوقف والخوض في
الفكر في ذات فانه يحير الافكار ويعجز دون الى الادبار بل تتفكر في افعاله وصنعه
فان العقل قاصر عن ادراك كنه كبريائه فان الملائكة مع تجردهم عن دنس العلايق
البشرية اعترفوا بالقصور وقالوا ما عبدناك حق عبادتك فكيف البشر المتعلق
بالعلايق الغوايش البشرية المانعة عن خلوص الادراك فالخوض فيه ربما يفضي
الى الفتور مما هو مترتب عنه فالاولى ترك الخوض فيه ولا يماري في الدين اي لا يخاصم
اهل الحق بالقاء شبهات الجهل الاجهل عليهم التماسا لامتراءهم ومميلهم عن الحق
وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام من ترك المراء وهو صبطل بني له بيت في ربض
الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها اخرجه
الترمذي وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهم
يتنازعون في القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت
اليكم انما هلك من كان قبلكم بكثرة التنازع في امر دينهم والاختلاف فهم على انبيائهم عزمة
عليكم ان لا تنازعوا فيه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله ولا يجادل في القرآن بان مخلوق
حادث او منجنس الحروف والاصوات بل يؤمن بانه كلام الله وامراده لا يجادل في
الايات المتشابهة ولا يتاول تاويلات اهل الزيغ اشتغالا بالمتشابه ولا يجادل بوجوه القرآن
الشاذة بل يقرأه بكل ما ثبت قوله ونعلم انه اي القرآن كلام رب العالمين نزل به الروح
الامين وهذه اردت الكلام المذهبة ان القرآن وحي الهام طبعي لصاحب هبرة وان النبي
عليه السلام كان يصوره في نفسه فيعظمه قرانا والدليل على بطلان كونه
قوله تعالى تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الامين يعني جبريل وقوله ولكان

من عنده

من عنده يعبر الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله قوله تعالى محمدا اي غير جبريل محمدا سيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم وعلى اله اجمعين القرآن المنزل اليه لقوله تعالى علمه شديد القوى ذو التصليح
يعلمه جبريل اياه ابطال لقولهم الملاحدة انه كان مصورة في نفسه لان طبيعته وغريزته
كان يقتضي ذلك او كان يلهمه جبريل بحروف بحروف كلام مصنوع والدليل على بطلان هذا
هذا ان الله تعالى صرح بالتعليم والتلقين والتعليم من المكلف لا يكون الا بان يسمع منه
الكلام فيحفظه ثم يبلغ الى المخاطبين قوله وكلام الله تعالى لا يشابه شيء من كلام
المخلوقين لان كلام الله تعالى صفة قايمة بذاته ازلي جامع للطايف ينعجز عن ابتان مثل
اقصر سورة منه الانس والجن فكيف يتاتى من كلام البشر الذي هو جاد ث ركيك اللسنة
اليه مساو له قوله ولا نقول بخلقه هذا رد لقول المعتزلة القايلين بخلق القرآن والدليل
على بطلان هذا مذهبهم ان كلام الله صفة قايمة بذاته فلو كان مخلوقا لقام الحادث
بذاته تعالى وهو منزه عن ذلك وقد مر تحقيق ذلك فيما قبل قوله ولا نخالف جماعة
المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم من خرج عن الجماعة قد خلع ربقة الاسلام عن عنقه
والاجماع حجة من حجج الشرع فمخالفة ربع وضلال والنبي عليه السلام حث الامة على
التمسك بالجماعة حيث قال عليكم بالسواد الاعظم وقال لا تجتمع امتي على الضلالة
ومارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن قوله ولا نكفر احدا من اهل القبلة
بذنب ما لم يستحله لقوله عليه الصلاة والسلام لا تكفروا اهل قبلتكم والمراد باهل القبلة
هم الذين يجمعون بين الصلوة الى الكعبة والتصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه
وسلم من الشريعة ولهذا قال المصنف فيما سبق وسمي اهل قبلتنا مسلمين ما داموا
بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين وفيه اشارة الى ان الغلاة من الروافض
وان صلوا الى القبلة ليسوا داخلين في هذا وانما قال هذا رد على الخوارج الذين قالوا
بان المسلم اذا ارتكب كبيرة يخرج من الايمان ويدخل في الكفر وعلى المعتزلة الذين قالوا
يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر ويكون بين المنزلتين والدليل على بطلان هذين ان
المؤمن لا يكفر بالذنب لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا المذنبين
بالتوبة اذ التوبة عبارة عن الرجوع الى الله بعد مخالفته امره بعد المخالفة وقد تبين
صاحب الذنوب موصوفا بذلك على ان لا يخرج عن الايمان بالذنب ولقوله تعالى وان طايفتان
من المؤمنين اقتتلوا سماهم مؤمنين مع ان احدى الطايفتين باغية مرتكبة
للكبيرة ولقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى فسمى قاتل
العمد اخا مع ارتكابه الكبيرة ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء سماه اخا ماخوذ
الاسلام فلو صار كافرا بالقتل لما جاز تسميته باخ ولان الايمان في الحقيقة هو التصديق
بالقلب والاقرار دليل عليه ومحل المنصفة بالجواح ولا تضاد بينهما اذ الحاد المحال
يشترط له فاذا دام التصديق بانها كون الايمان باقيا ولان الاعمال الصالحة غير داخلة
في الايمان فلا بينتفي الايمان بانتفائه وهذا اذا ارتكب الكبيرة ولم يستحلها اما لو استحلها
فهو كافر ولانكار احد المعلومين من الدين بالضرورة قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون فقوله ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله
رد لمذهب المرجئة فانهم يمثلون بالجواح حيث قالوا لا يضر الذنب مع الايمان والجواب
قالوا لو لا ينفع الايمان مع الذنب والدليل على ابطال هذا المذهب المرجية ان النصوص
والاحاديث الصحيحة وردت على ترتيب اصحاب الكبايز بقرر كونهم مؤمنين وردت
على ان الذنوب قد تضر مع الايمان قوله ونرجو للمحسنين من المؤمنين
اي نرجو الثواب في الاخرة لمن عمل الحسنات من المؤمنين لحكم الوعد وانما قال بلفظ
الرجاء لان العمل الصالح ليس بموجب للجزا بفضل الله ورحمته قال النبي
صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولان العمل الصالح انما يكون وسيلة للثواب
اذا كان لوجه الله ومقبولا عند الله وذلك غير معلوم فلا يتيقن بل نرجو الفضل
من الله قوله ولا نشهد لهم بالجنة ولا نامن عليهم اي لا نامن على الموحدين ما يحبط

عملهم من كفر او نفاق او ما يحبط ثوابه عملهم من عجب ورياء وسمعة لانهم غير معصومين
عن ذلك فاذا امنوا في الحياة لا يحقق الامن من ادراك الاعتبار للخاتمة وقصه يعتبر بها
باعور امر سورة قوله وتستغفر لهم اي تطلب من الله المغفرة للمذنبين من
اهل الايمان لانا امرنا باستغفار بعضنا لبعض قال الله تعالى استغفروا ربكم انه كان
غفارا والملائكة والانبيا امروا بالاستغفار للمومنين وجب الافتدا بهم فوله
عليهم اي تخاف على المذنبين من اهل الايمان العقاب لان الله تعالى اوعد بالعقاب
مخالفة اوامره فتستغفر لهم كما نستغفر لانفسنا ونخاف عليهم كما نخاف على
انفسنا قال النبي عليه الصلاة والسلام المومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه
تداعى باقيه الى السهر قوله ولا تقنطهم لانويسهم من رحمة الله مع ذنوبهم اذ القنوط
من رحمة الله من اوصاف الضالين قال الله تعالى ومن يقنط من رحمه ربه الا الضالون
قوله ولا ايأس يتقلان من الملة يعني الامن من مكر الله والايأس من رحمه الله تعالى
يتقلان المومن عن ملة الاسلام الى الكفر لان الله تعالى وعد بالرحمة واوعد بالعذاب
وهو قادر عليهما ففي الامن عما اوعد ظن العجز عن العقوبة وفي الايأس عن الرحمة
ظن العجز عن المغفرة وكل واحد منهما ما قل عن ملة الاسلام وقد قال تعالى انه
منوا مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ان لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون قوله وسبيل الحق بينهما لاهل الملة اي بين الامن والايأس
وهو الوقوف بين الخوف والرجاء اذ هو حقيقة العبودية قال الله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا اي خوفا من عقابه وطمعا في رحمته وثوابه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا وفيه اشارة الى ما ذهب اليه المحققون والمرجئة
فان الخوارج اسرفوا من توان الله باركان الكبيرة والمرجئة امنوا من العقاب باركابها
فنهما في طرفي التقريط والافراط وخير الامور اوسطها وهو مذهب اهل السنة والجماعة
قوله ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما ادخله فيه فلا يبطل الايمان الا
جحود ما صار به موصنا قوله والايمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان
وهذا القلب فالحاصل ان المشايخ قد اختلفوا ان الايمان في الحقيقة عبارة عن ماذا فقال
الشيخ ابو منصور الماتريدي الايمان في الحقيقة التصديق بالقلب ولكن لما كان لهذا
القلب امرا باطنا لا يمكن الوقوف عليه جعل الشارع الاقرار دليلا عليه وشرطا لاجراء
الاحكام في الدنيا حتى لو صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا يكون موصنا عند الله لانه تعالى
عالم بما في القلوب فيعلم بتصديقه لان احكام الرسل للعلم الاقرار الذي يدل عليه
في حقنا وهو محكم بالظاهر وهو الله يحكم السرائر وهذا العقول مروي عن ابي حنيفة
رضي الله عنه في كتاب العالم والمتعلم وقال شمس الايمة السرخسي وجمهور الاسلام
ليدل ذوي الاقرار باللسان ركن الايمان كالتصديق الا انه ركن زائد يحتمل السقوط
بعذر الاكراه والتصديق ركن اصلي لا يحتمل السقوط بحال فمن صدق بقلبه
ولم يقر بلسانه من غير عذر لم يكن موصنا والبه اشير كلام المصنف رحمه الله تعالى
حيث قال هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والاعمال كلها داخلة في
حقيقة الايمان كما هو مذهب بعض العلما حيث قالوا الايمان هو التصديق
بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان وهو يحكى عن الشافعي واحمد واهل
الظاهر قال الامام فخر الدين الرازي الاعمال الجارحة عن مسمى الايمان والدليل
بان الاعمال داخلة في الايمان اجتماعهما فقال الشافعي الفسق لا يخرج الفاسق
عن الايمان وهذا في غاية الاشكال لانه اذا كان الايمان اسما لمجموع التصديق
والاقرار والاعمال فبينتفي بالانتفاء جزيه فوجب ان لا يبقى موصنا بدون الاعمال
لقائل ان الاعمال عطفت على الايمان في مواضع كثيرة في القرآن قال الله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة

وقال تعالى

مطلب تعريف الايمان

وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة والمعطوف
غير المعطوف عليه ولان الايمان شرط لصحة الاعمال وقال الله تعالى ومن يعمل من
الصالحات وهو موصن والشرط غير المشروط ولان جبريل لما سال النبي صلى الله عليه
وسلم عن الايمان لم يجب عنه الا بالتصديق باشيا مذكورة في ذلك الحديث حيث قال
الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره
ثم قال هذا جبريل اتاكم ليعلمكم معالم دينكم فلو كان الايمان عبارة عن الاعمال مع التصديق
والاقرار لبينه النبي عليه الصلاة والسلام قوله وان جميع ما انزل الله تعالى في
القرآن وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان
كله حق لانه لما ثبت ان القرآن منزل من عند الله وان الرسول صادق ثبت ان جميع ما في
القرآن وما صح من الاحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام في بيان الشرع حق كلمة
لانه معصوم عن الكذب والتاطل وانما ذكر هذا لان الايمان التفصيلي يكفي واحد
واحد مما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن فيجب الايمان الاجمالي لمكررا ايمانا
بكل ما يجب الايمان اذ لا وجه علية التفصيل لتعذر عنه وقد ترك شائع الايمان
به اذ لا يمكن ان يحيط المكلف بتفصيل جميع ما في الشرع من الاحكام قوله والايمان
واحد وهله في اصل هذا والتفاضل بينهم بالحقيقة والتفاضل بينهم
بالهوى وملازمة الاولى انما قال الايمان واحد لان الايمان عبارة عن التصديق
بجميع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ولا تفاوت في ذلك بين المكلفين وانما قال
اهله في اصل الايمان سواء يعني ان ايمان اهل السماء من الملائكة واهل الارض من الانس
والجن في الاصل واحد وهو اقرار التصديق بوحدانية الله واثبات صفاته الذاتية والا
فعالية وبكل ما يجب الايمان به جملة وجميع المكلفين في هذا على السواء والى هذا
اشار ابو حنيفة رحمه الله في كتابه العالم والمتعلم حيث قال ان ايمان امثل ايمان
الملائكة لانا امنا بوحدانية الله تعالى وربوبيته وما جاء به من عنده مثل ما اقرت
به الملائكة وصدقت به الانبيا والمرسل فمن ههنا ايمانا مثل ايمانهم ولهم لعد ذلك
نفضلهم فضائل في الثواب على الايمان وجميع العبادات وهو زايد على اصل الايمان
لان الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل عبادتهم وثوابهم وبهم
امتاز الرحمن لا بدانيتهم احد من الناس في عباداتهم وحقوقهم وهذا الذي علمان اصل
الايمان لا يزيد ولا ينقص لان اصله هو التصديق بجميع ما جاء به الايمان به وذلك لا يحتمل
الزيادة والنقصان والزيادة الواردة في الايمان في قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ليزدادوا ايمانا وغيرهما محمولة على الزيادة في ثمرات الايمان بالاعمال الصالحة
وانشراق نوره وصفائه قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه لاعلى ان المراد الزيادة في اصل الايمان عملا بالدليلين واليه اشار بقوله
وانما التفاضل بينهم والتفاوت في مراتبهم في اوتحاف الايمان من الاستنارة والضيا
وزيادة اليقين والتمكن بالتقوى ومخالفة الهوى النفس الامارة بالسوء وملازمة
ما هو الاولى في العقول والعقل قوله والموصنون كلهم اولياء الرحمن في الرحمن عند
الله اطوعهم واتبعهم للقرآن والدليل عليه قوله تعالى الله ولي الذين امنوا
والولي فعيل بمعنى فاعل اي الله متولي امورهم وناصرهم ويقرب منهم بالعون
والنصر والتوفيق على الطاعات والهداية الى المعرفة والدليل على ان اكرمهم عند
الله اطوعهم واتبعهم للقرآن قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله عليه
الصلاة والسلام لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى
واتباع القرآن دليل على الاطاعة والتقوى قوله والاصل الايمان بالله تعالى
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والبعث بعد الموت والقدر خيره
وشره وحلوه ومره من الله تعالى وهذا موصنون بذلك كله لا نفرق
بين احد من رسله ونصدقهم كلهم فيما جاوا به لما ذكر ان اصل الايمان
في اصله سواء في بيان اصل الايمان فقال واصل الايمان هو الايمان بالله الى اخره
فصل بعد ذكره بالاجمال والاصر في اية ام من الرسول وحديث جبريل حين سال

مطلب تعريف الزيادة في الايمان

النبي عليه الصلاة والسلام عن الايمان وقد مر ذكره قوله واهل الكبائر في النار لا يخلدون اذا
ماتوا وهم موحدون وان لم يتوبوا بعد ان يكونوا اعارفين بالله وان ارتكب
كبيرة ومات قبل التوبة وهو موحد لم يشرك بالله فهو وان دخل في النار لا يخلد فيها مهما
امره ان يخرج من النار ويدخل الجنة ورد به قول المعتزلة القائلين بان الكبيرة لا يخرج عن الايمان عندنا وعندهم
ابدا ولا يخرج منه وهذا بناء على ان من مات على الكبيرة لا يخرج عن الايمان عندنا وعندهم
يخرج فاذا لم يتب يكون عندهم كافرا فيخلد في النار وقد مر التحقيق فيه وعندنا
لما كان موحدا لا يخلد في النار وكون عاقبة امره الجنة قال الله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وهو الشخص وهو وقد عمل الصالحات
من الصيام والصلاة لكنه ارتكب الكبيرة لقلة الشروط مع الاعتقاد بالحرمة وخوف
العقوبة فيكون عاقبته الجنة ولانه تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن شاء فرق بين الشرك وما دونه واخبر ان الشرك غير مغفور واطمع
في مغفرة ما دونه حيث علق بالمشيئة وانما تعلق بالمشيئة جايز الاجود لا يمتنع الوجود
في ان يغفر الله الكبيرة فلا يدخله النار او يدخله ثم يخرجه منها برحمته وقد قال الله
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ايحا يظلمهم وذلك على جهة المغفرة
قبل التوبة ولان يوحد ساعة يهدم كفر ثمانين سنة فكيف لا يهدم معصية ساعة ولكن
ثبت تعذيب اهل الكبائر بالنصوص فلا اقل في رجاء العفو قال الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا ولانه تعالى قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فمن آمن وعمل الصالحات كتبه اركب المعاصي لو لم يخرج من النار بالايمان اي بزوال الايمان
والاعمال ولانه لا بد من الجمع بين النصوص فاما ان يقال صاحب الكبيرة يدخل النار
ثم يدخل الجنة بما معه وقدر ما اراد النار ولا تثبيت ثم ينقل الى الجنة وهو ارفق
قوله لمن يشاء اي اهل الكبائر فمشيته وحكمه ان يشاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله
كما ذكره في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني لا يقطع بعقوبة اهل الكبائر
ولا شدهم بل حكمهم انهم اذا ماتوا قبل التوبة في مشيته الله ان شاء عفا عنهم
بفضله ورحمته او بشفاعة نبي اولي من عباده فان شاء عذبهم بقدر جرائمهم
ثم ادخلهم الجنة وفيه رد لقول المعتزلة القائلين بان تعذيبهم قطعا لعفوهم
العفو عنهم اذا ماتوا بلا توبة ورد لقول المرجئة الذين يزعمون ان المؤمن لا يدخل النار اصلا
وان اتى بجميع المعاصي ومات قبل التوبة والى رد القول الاول اشار بقوله ان شاء عفا عنهم
والى رد القول الثاني بقوله وان شاء عذبهم في النار بقدر جرائمهم بعدله ثم يخرجهم
من النار برحمته وبشفاعة الشافعين من اهل طاعته ويسكنهم الى جنته وذلك بان الله تعالى
هو اهل ان يطاع فلا يعصى ويغفر لمن عصاه اذا شاء بمقتضى كرمه وجوده
اي اهل ان يتقى فلا يعصى ويرجى فلا يقنط منه ولا يأمن مكره كما قال تعالى
ولم يجعله في الدارين اي دار الدنيا ودار الآخرة كما هل تأويه
اي اهل الكبائر المعرفة والايمان الذين خالوا من محبته ولم ينالوا من كرامته وقد دلت النصوص
على التفاوت بين اهل المعرفة وهم المسلمون وبين اهل الانكار وهم الكافرون
في الآخرة قال الله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين كلا لا يستوون امنوا امنوا
بقلوبهم وعملوا الصالحات كالمفسدين ولان الحكمة تقتضي التفضيل
بين اهل المعرفة على اهل النكرة فلو خلد جميعا في النار بطلت التفرقة وثبتت التسوية
وبلزم من ذكر ان لا ينفع الايمان والمعرفة والدليل على تعذيب اهل الكبائر ثم اخراجهم
من النار الى الجنة شفاعة الشافعين قوله النبي صلى الله عليه وسلم اما اهل النار
الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم
او قال بخطاياهم فاماتتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما اذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على
انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة في حميل
السيل اخرجه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون
صلى الله عليه وسلم فيسمون الجهنميين اخرجه البخاري بهذا لفظ اللهم
يا ذي الاسلام هذا بالاسلام وحي فلقاك به انما طلب الثبات على الاسلام
اي الموت لان السعادة الابدية وهي الخلود في الجنة في جوار الرحمن انما تحصل بالثبات على الاسلام اي ان يلقى الله بعد الموت لان الاعتبار بالخواتيم

والانبيا

بعد ان لقوا الله

والاشياع عصيتهم طلبوا الشات على الاسلام والموت عليه قال الله تعالى اخبارا عن يوسف
عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين فغفر لهم اولى والاقتداء بهم حسن
ولان المؤمن بين الخوف والرجا في ان يموت على ملة الاسلام فوجب الاهتمام بطلب
الشات عليها اي الموت قوله وترك الصلاة خلف كل بر وفاجر من اهل القبلة
وعلى من مات منهم اما جواز الصلاة خلفهم فلقوله عليه الصلاة والسلام صلوا
خلف كل بر وفاجر ولان ترك رؤية الصلاة خلف الفاجر يؤدي الى التنفير بالكبائر وقد ثبت
الدليل على بطلانه ولان الصحابة كانوا يصلون خلف الظلمة من بني امية ولان الفضيلة
ليس شرطا للصحة الامامة فما هو مذهب الرفضة واما الصلاة على من مات منهم فاثبت
فعل النبي صلى الله عليه وسلم حيث علق ملعزم مع انه رجمه بعد ما زنا ولان الصلاة لحق
الاسلام وهو لم يخرج عن الاسلام بكبيرته قوله ولا نشهد لاحد انه من اهل النار
اي لا نقول لاحد انه من اهل الجنة وان عمل الصالحات او من اهل النار وان عمل السيات
لان الخاتمة عنه لا يعلمه الا الله فجاز ان يموت الصالح صالحا ويختم له بالخير والصالح
طالحا ويختم له بالشر وقد قال علي رضي الله تعالى عنه لا تنزل لاحد من الخلق في الجنة ولا
ولا للمبين النار حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزلهم قوله ولا نشهد عليهم بكفر
ولا شرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك اذ من تحكم بالظاهر والله يتولى
السرائر فلا يجوز لنا الشهادة الا بما نعلم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل
الشمس فاشهد والا فدع الشهادة بدون نظيره شيء من ذلك يكون بالظن وقد قال الله تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وترك ما يترك اي يترك
سرائرهم الى الله تعالى لانه
هو المطلع عليها دون العباد يعلم السر واخفى قال الله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله والنبي اشار النبي عليه الصلاة والسلام بنحن نحكم بالظاهر والله
يتولى السرائر وحديث هلا شققت عن قلبه معروف قوله ولا نرى السيف على احد من
امة محمد عليه الصلاة والسلام لقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها مثل الردة
والقصاص والبغي قوله ولا نرى الخروج على ائمتنا وولاة امورنا وان جاروا
ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم وننزى طاعتهم من طاعة الله تعالى فريضة
ما لم يأمروا بمعصية ليس بشرط في الامامة فهو وان ظلم لا يخرج عن الامامة فالخروج عليه
بغي وفساد في الارض واثارة فتنة بين اهل الاسلام هكذا هو مذهب الخوارج وقد
قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم مطلقا فيتنا ولي وجوب
طاعة الامام العامل وغيره فيلزم طاعتهم ثابتة مثل طاعة الله وطاعة رسوله لكونها
فريضة الا ما يجيء علينا طاعتهم فيها اذ دعوا الى طاعة او الى ما فيه مصلحة دينية او دنيوية
وليس فيه معصية لقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قوله
وندعو لهم بالصلاح والمعافاة لان في ذلك رجاء الاجابة وفيها عموم الصلاح للامام
والرعية وتسكين الفساد والفتنة والدعا بالمعافاة شاملة لصالح الاديان ولابدان في صلاح
ابدانهم نفع عاما لانهم بذلك يقدرون على الجهاد وقطع ملاة الظلم والكفر والفساد ولذكر
في صلاح دينهم صلاح عام لانهم اذا صلحوا حملوا الرعية على ذلك اذ الناس على دين ملوكهم
قوله ونتبع السنة والجماعة لان السنة هي الطريق المسلوكة في الدين وهي مقتضية
الى السعادات والفوز بالدرجات والنجاة عن العقوبات والجماعة هم الصحابة والذين
اتبعوهم باحسان واشياعهم لهم بايهم اقتديتم اهتديتم وخلافهم بدعة وضلالة
والنبي عليه الصلاة والسلام قد حرض على اتباع السنة والجماعة بقوله عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين من بعدي من فارق الجماعة شبرا من عنقه اخرجه مسلم قوله وهجر
البدع والخلافة والفرقة لقوله عليه الصلاة والسلام من شذ شذ في النار
وقد حث النبي عليه الصلاة والسلام على ملازمة اتباع الجماعة ونهى عن اتباع محدثات
الامور ومفارقة الجماعة روي انه صلى الله عليه وسلم ذات يوم قبل النهار وجهه فوعظنا
موعظة موجع فقلنا انها موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد
حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

والمهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي قوله **ونحب اهل العدل والامانة**
ونبغض اهل الجور والخيانة اراد باهل العدل والامانة اهل الحق من اهل السنة والجماعة
المتمسكين بالعدل واداء ما يجب عليهم من الامانة من الولاة والسلاطين واراد باهل الخيانة
اهل الخلاف والجور والبغي والفساد والخيانة فيما يجب عليهم من الحقوق والجائرين
من الولاة والمراد بحبهم وبغضهم حب افعالهم وبغض افعالهم لا ذواتهم وقد امر الله تعالى
بالعدل فيكون محبوبا ونهى عن البغي والجور فيكون مبغضا قال الله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون قوله **ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه** انما ذكر هذا لئلا يقع في الشك
فيما ذكرنا من العقائد عند ما يشتبه عليه شيء او يعترضه سؤال ولا يمكن على دفعه فحينئذ
يجب عليه ان يفوض امر ذلك وعلمه الى الله فانه هو العالم بحقائق الاشيا لا يعزب عنه
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما لا يمكن للبشر معرفة كنه دقائق الاشيا وحقايقها
الا بتعليم والهام وتوفيق من الله فان الملائكة مع صفاء جواهرهم اعترفوا بالعجز عن العلم
دونهم حيث قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا فكيف البشر مع شواغلهم عن التوجه الى جناب القدس
وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فان عقول
البشر قاصرة عن ادراك كثير من الاشيا فان اشتبه عليه شيء يجب ان يفوض علم ذلك
الى الله تعالى ونقول الله اعلم لقوله تعالى وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
قوله **ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الاثر** انما ذكر هذا ردا
لقول اهل الرفض فانهم انكروا جواز المسح على الخفين وهذا وان كان من احكام الفقه
لكنه لما اشتهرت فيه الاثار الحق بالعقائد دفعا لانكار المنكرين قال ابو الحسن الكرخي
اني لاخشى الكفر على من لا يرى المسح على الخفين قوله **والحج والجهاد فرضان ماضيان**
انما خصهما بالذكر لانهما عبادتان في غاية المشقة لتحصيلهما الا ببذل المال المحبوب للنفس
وخوف تلف الروح وهجر الاهل والاوطان ومفارقة الاحباب والاخوان والنفوس
مستغرقة على الشدائد النفسانية خصوصا اذا كان معهما صرف المال المحبوب فخصهما
بالذكر تحريضا عليهما وتاكيدا لكونهما ركنان وقد ذكر الله تعالى انواعا من التاكيد والتشديد
في الحج حيث قال ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب في الرقاب لا يسقط
عمن اداه يحتم قال ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج وكذا امثال هذا التغليظ
جاء في الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام من ملك زادا وراحلة تبلغانه الى بيت
الله الحرام ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا اخرجه الترمذي ثم قال تعالى
فان الله غني عن العالمين ذكر الاستغنا عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان
وقال غني عن العالمين مكان غني عنه ليدل على الاستغنا عنه بالبرهان فانه اذا استغنى
عن العالمين كان مستغنيا عنه لا محالة فانه اخل عنه ولانه يدل على الاستغنا الكامل
فكان ادل على كمال السخط على تارك الحج واما التاكيد على الجهاد فاكثر من ان يحصى ومشقته
على النفوس لا تخفى فلا يحتاج الى التاكيد فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض
الى يوم القيامة حتى تقاتل اخر امتي الدجال وانما جمعهما ايضا لما روت عائشة قلت
يا رسول الله نرى الجهاد افضل الاعمال افلا نجاهد فقال لكن افضل الجهاد حج مبرور اخرجه البخاري
قوله **مع اولي الامر من ائمة المسلمين برهم وفاجرهم الى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما**
انما قال مع اولي الامر لان الحج والجهاد متعلق بالسفر واجتماع العساكر
والقوافل ولا بد من ضابط يضبط امور الناس عند اختلافهم ويقاوم العدو ويحسم
مادة الشقاق فلو لم يكن فيهم امير يقع الخلاف في اكثر الامور فيحتاج الى من يرجعون
اليه في الامور ويطيعونه فيكون نافذ الامر فيهم وهو السلطان او نوابه من الامراء كان
برا او فاجرا لان العصمة ليس شرطا في الامر فاذا كان يجوره لا يضر الا بنفسه قوله
ونؤمن بالكرام الكاتبين فان الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين قال الله
تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقد قال ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد والحكمة في ذلك مع ان الله تعالى عالم بما يفعله العباد ترغيبهم في الخيرات

وتحذيرهم

وتحذيرهم عن ارتكاب السيات او جميع ما يكتبه الحفظة من خير وشر فانهم يعرضونه عليه يوم
القيامة قال الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
ان بينها وبينه امدا بعيدا فاذا علم العبد ان عليه رقيبا وشاهدا يحفظ عليه افعاله كان
اشد رغبة في فعل الخيرات واكثر احترازا من المحظورات قوله **ونؤمن بملك الموت الموكل**
بقبض ارواح العالمين قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم قوله **ونؤمن**
بعذاب القبر ونعيمه لمن كان له اهلا وسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن
ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن اصحابه رضي الله تعالى عنهم اجمعين والقبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار لانه مما ورد به السمع ولا يأباه العقل يجب قبوله فالايمان
به فنؤمن بعذاب القبر لمن هو اهله له كالكفار وبنعيمه لمن كان اهلا للنعيم كالابرار
ونؤمن بسؤال منكر ونكير لانه قد وردت به الاخبار بنقل الاخيار منها ما روي انه كان عثمان
ابن عفان رضي الله عنه اذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار
فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول
منزل من منازل الاخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه اخرجه الترمذي وعن ابن
عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه
مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل
النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة اخرجه البخاري ومسلم ومصداقه
قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعن زيد بن ثابت قال بينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حائط لبني النجار ونحن معه اذ حادت به بغلته فكادت تلقيه واذا
اقبر ستة او خمسة فقال صلى الله عليه وسلم من يعرف اصحاب هذه القبور فقال
رجل انا فقال متى ماتوا قال في الشرك فقال ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدا
فنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر الذي اسمع منه ثم قال تعوذوا بالله من عذاب
القبر اخرجه مسلم واما في سؤال منكر ونكير فقد روى انس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اتاه
ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لنبي محمد صلى الله عليه وسلم
فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبده ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله
به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ويفسح له في قبره واما الكافر والمنافق فيقول
لا ادري كنت اقول كما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ثم تضرب بمطرقة من حديد ضربة
فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين اخرجه البخاري ومسلم والاصل ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يسالون في قبورهم قوله **ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال**
يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط و
الميزان المراد بالبعث حشر الاجساد واحياؤها يوم القيامة للجزاء في الاخرة عما فعل
في الدنيا من خير او شر وهو حق لانه ممكن في نفسه وقد اخبر الصادق بوقوعه فيجب
الايمان به اما انه ممكن فلان الابتدا لما كان ممكنا فالحشر الذي هو عبارة عن الاعادة اولى
بالامكان والله تعالى قادر على جميع الممكنات عالم بجميع الكليات والجزئيات فيقدر على جمع
اجزائه بعد تفرقها ويخلق الحياة فيه واليه الاشارة في قوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق
ثم يعيده وهو اهون عليه وفي قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى قوله او ليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم اما
انه اخبر بوقوعه فبقوله تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والايات والاخبار فيه اكثر من ان تحصى وهو معلوم
بانه من ضروريات الدين فوجب الايمان به واما الجزاء فثابت بقوله تعالى انما تجزون
ما كنتم تعملون وقوله جزاء بما كانوا يعملون والايات فيه ايضا اكثر من ان تحصى
واما العرض على الله تعالى فثابت بقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم
وقوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية واما الحساب فثابت بقوله تعالى وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واما قراءة الكتب فثابت بقوله تعالى ونخرج

والبعث بعد الموت هو ان يبعث
الله الموتى من القبور بان يجمع
اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح
اليها فيقال بعث الله الميت اي
اقامه من قبره ولم يكتف الامام
الاعظم بقوله واليوم الاخر لانه
غير صريح في المعاد الجسماني
بل يحتمل المعاد الروحاني
وبه ورد الفلاسفة المنكرين
المعاد الجسماني والمعاد
مصدر ميمي او اسم مكان وحقيقته
العود وهو توجه الشي الى ما كان
عليه والمراد بالمعاد هاهنا
الرجوع الى الوجود بعد
الفناء او رجوع اجزاء

لهذا يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويعطى كتاب المؤمن
بيمينه وكتاب الكافر بشماله او من وراء ظهره قال الله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتى كتابه وراء ظهره
فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا واما الصراط فهو جسر ممدود على متن جهنم احد
من السيف واحد من الشعر ومنهم كالماشى ومنهم كالفرس الخاطف ومنهم كالراكب
ومنهم كالجواد المسرع ومنهم كالماشى ومنهم كالفرس الخاطف ومنهم كالراكب
واعمالهم فى الدنيا وثبت حقيقة بقوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
حشيا وعازرى ان عائشه رضى الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال ما يبكيك
فاسكبكر قلت ذكر النار فبكيت فهل تذكرون يوم القيامة فقال اما فى ثلاث مواطن
فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم يخف ميزانه ام يثقل وعند تطاير الصحف
حتى يعلم اين يقع كتابه فى يمينه او فى شماله ام وراء ظهره وعند الصراط اذا ضرب
بين ظهرانى جهنم حتى يجوزه فجوزه اعدا واما الميزان فهو عبارة عما يعرف به مقادير
الاعمال فتوزن اعمالهم خيرها وشرها كان اوثر وتتفاوت فى كيفيته والاصل فيه قوله تعالى
والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية الاية قوله والحب
ليوم القيامة فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية الاية قوله والحب
والميزان والوزن لا يعقل الا بالعدل والعدل هو الاستواء وهو المراد بقوله تعالى
فيها ابدا فصرح بخلود الفريقين والابدية تنافى الفناء والزوال وقد ورد فى الحديث
اهل الجنة لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتفلون شبابهم فلا يفنى شبابهم قوله وان الله
تعالى خلق الجنة والنار فقيل الخلق كان الله تعالى ولم يزل ولم يزل ولا يزال
سدرة المنتهى عند جماجمة الماوى وقال الله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
وقال تعالى اعدت للمتقين وقال فى النار اتقوا النار التى اعدت للكافرين وفيه رد لقول
المعتزلة القائلين بانهما اليوم مخلوقتين الان وانما يخلقان بعد القيامة قوله خلق
لهما اهلا فمن شاء منهم الجنة فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه لما روى
عن عائشه رضى الله عنها انها قالت توفى صبى فقلت طوبى لهذا عصفور من عصافير
الجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدرين ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق
لهذه اهلا ولهذه اهلا وقال لهولاء للجنة ولا ابالى ولهولاء للنار ولا ابالى ثم دخول
الجنة بفضل الله لا بالعمل قال الله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال النبى صلى الله عليه
وسلم لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدنى الله برحمته وفيه رد لقول المعتزلة القائلين بالوجوب على الله ودخول
النار بعدله لانه كلفهم بالايمان عن اختياره واخبر فهم بالعذاب بترك الايمان والاوامر
والنواهى ومن انذر فكان التقديب عدلا منه وحكمه قوله وكل يعمل لما
قد فرغ منه يصدر ان ما خلق له والخير والشر مقدران على العباد قال
الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته وقال النبى صلى الله عليه وسلم جف القلم
بما هو كائن فلا مغير لما خلق له وقد امران الخير والشر بارادته ومشيته
وقضائه وقدره فهما مقدران على العباد قال الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء
الله والية اشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال القدر خيره وشره من الله تعالى
وحديث جبريل مشهور وقد مر ايضا فلا حاجة الى الاعادة قوله ولا استطاعة
الى حين بها الفعل من التوفيق الذى لا يجوز ان يوصف به المخلوق
مع الفعل واما الاستطاعة من جهة الصحة والتوسع والى حين
وصحة الالات فهو قبل الفعل وعند ما قال لا يكلف نفسا الا وسعها
اعلم ان الاستطاعة على قسمين باطنة وظاهرة اما الباطنة هى التى يوصف
بها الفعل لحدها الله تعالى معرفة بالفعل فى الطاعات بينهى يتفقا وفى
المعاصى خذلانا لا يوصف بها المخلوق لان من الله فهذه الاستطاعة مع الفعل
كحركة الاصبع مع حركة الخاتم ليكون العبد دايما مفتقرا الى توفيق الله ومشيته

وتاييده وما تشاؤن الا ان يشاء الله لا استقلال للعبد فى ايجاد الفعل وهو فى كل لحظة
ولحظة محتاج اليه وفى حقيقة العبودية والافتقار قال الله تعالى انتم الفقراء الى الله
وفيه رد لقول المعتزلة الخبيث قالوا ان القدرة ثابتة على الفعل مقدرة للعبد
واما الاستطاعة الظاهرة فهى القدرة من صحة الوسع والتمكين وصحة الالات
والجوارح وسلامة الاعضاء وهى متقدمة على الفعل ومدار التكليف على هذه والخطاب
بالتكاليف منوط بها اذ الاول تاطنة لا يقف العبد عليها فمن كان قادرا على العبادات
من الصلاة والصوم والحج حسب عليها بانها على القدرة الظاهرة وان لم يوجد منه شئ
منها بناء على عدم لحوق الله الاستطاعة التى يوجد بها الفعل وفى قوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها دليل على ان التكليف لا يكون الا عما فى الوسع بناء على الاستطاعة
الظاهرة وفيه رد لقول الاشاعرة حيث جوزوا التكليف بما لا يطاق وانهاد العباد
خلق الله تعالى وكسب من العباد وفيه رد لقول المعتزلة والجبرية فان المعتزلة
قالوا افعال العباد خلقهم لا خلق الله والجبرية قالوا افعالهم خلق الله لا كسب العباد
والمترجح القديم ما قاله اهل السنة وهو ان الله تعالى خلق الخلق والتقصير والطريق المستقيم
وما تعملون الا ما شاء الله رب العالمين وقوله تعالى الا فعال خلق الله فقوله تعالى والله خلقكم
الدليل على ان الله تعالى خالق لجميع الممكنات واقع بخلق وفعل العبد من جملة الممكنات اما
على نفسه ومن يكسب خطيئة او اثما الاية قوله وكلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك
قالوا الفقران تترك واحد الكليتين وفيها فلما جمع بينهما فكان الاولى قوله ولم يكلفهم
الله تعالى الا ما يطيقون ولا يطيقون الا ما كلفهم قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ولا يطيقون الا ما كلفهم ذكر نفسه قوله لا حول ولا قوة
الا بالله فانه لا حيلة لاحد ولا حركة عن المعصية الا بعصمة الله ولا قوة للخلوق
على اقامة الطاعة والاتيان عليها الا بتوفيق الله وكل يجرى بمشية الله
وعلمه وقدره وقضايه وقدره فغلبت مشية المخلوقات كلها وغلب قضايه كلها
كلها وقدره المخلوقين فى ذلك قوله وفى دعاء الاحياء وصدقاتهم منفعة
للاموات اما فى الدعاء فلقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان مدحهم بذلك فلولم تكن للدعاء والاستغفار
نفع للاموات لما استحقوا المدح لان الصلاة واجبة على الميت وليس فيها الا الثناء
والدعاء للهم اغفر لحينا وميتنا فلولا ان الدعاء نافع لما وجبت الصلاة على الميت
لعدم الفائدة واما فى الصدقة فلقوله عليه السلام تصدقوا عن موتاكم ولو بشق
تمرة الصدقة بما امر بها قوله وانه يستجيب الدعوات لانه تعالى امرنا بالدعاء
ووعد الاستجابة قال ادعونى استجب لكم وقال الله تعالى يجيب دعوة
الداعى اذا دعانى ويقضى الحاجات لانه موصوف بكمال الرحمة وقادر على
كل شئ ولا يلحقه مشقة فى قضايها وفيه رد للمعتزلة القائلين بمراعاة الاصلح
وهو قاض الحاجات ومجيب الدعوات وانما قلنا ذلك لما قاله بعض المعتزلة انا
البعد الين له تاثير ويملك كل شئ قال الله تعالى له ملك السموات والارض ولم
يملكه شئ لان المالك لا يصير مملوكا قوله ولا غنى عنه طرفة عين لان كل شئ
سواه ممكن والممكن فى وجوده وبقايه محتاج الى الواجب فلا يكون غنيا قط الا
فقيرا والحاجة اليه لازمة لكل شئ فان الله تعالى قال يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله فهو قيوم لكل شئ اذ قيام الاشياء بقائمة فلا غنى عنه طرفة عين
بالاشياء لثلاث واضمحلت جميعها ومن استغنى عن الله طرفة
عين فقد كفر لان الافتقار صفة لازمة للعبد والغنا صفة الرب فاذا ظن
العبد انه مستغن عن الرب صار جاهلا بربه ونفسه مشاركا له فى صفة الغنا
فيكون كافرا وصار من الخاسرين اى من اهل الهلاك فان الكافر مخلد فى العذاب
الشديد واى هلاك اشد من هذا قوله والله تعالى يغضب ويرضى ناجز
من الورى وذلك لان الله تعالى وصف نفسه بالغضب والرضى حيث

قال رغضب الله عليهم وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه فثبت انه يوصف بالرضى والغضب
لكنه لا يراد بغضبه ورضاه مثل غضب الخلق ورضاهم لان الغضب في الخلق عبارة عن
حالة يتغير بها الوجه فيحمر وينتفخ الاوداج والرضا عبارة عن نضارة في الوجه وسرور
في النفس والله تعالى منزه عن التغير وتتبدل الاحوال فنقول بان المراد من غضب الله ثم
ارادة الانتقام من العصاة وايراد العقوبة بهم كما يفعل الملك اذا غضب على من تحت
يده نعوذ بالله من غضبه والمراد من رضى الله هو ارادة الثواب على من اطاعه والعفو
عن عصاه وان يفعل بغيره مما يفعل الملك على من تحت يده اذا رضي من الاكرام وزيادة
الانعام شاء الله زخيته قوله وعلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط
في حب احد منهم ولا نتبرا من احد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق
يذكرهم ولا نذكرهم الا بخير وحبهم دين وايمان واحسان وبغضهم
كفر ونفاق وطغيان اما محبتهم فلان الله رضي عنهم ورضوا عنه والثنا عليهم
في التوراة والانجيل والفرقان حيث قال محمد رسول الله والذين امنوا معه اشداء على الكفار
الى قوله مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وهم بذلك اراد حبهم وذمهم في اظهار الدين واعلاء
كلمة الحق وهم اخبرنا من اوطانهم لمحبة الرسول واوه ونصره وقاتلوا بين يديه فوجبت
محبتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله كان الله له بالمرصاد واما انه لا نفرط في حب احدهم لان الافراط
في الحب يوجب الفساد والبغض في غيره الا يرى الرفضة كفرطوا في حب علي رضي الله عنه
فوقعوا في بغض ابي بكر الصديق وعمر وعثمان نعوذ بالله من ذلك واذا غلوا على الالهية
والنبوة كما قد اعتقد الغلاة من الرفض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي انت
مني كهارون من موسى مفسر ومحب مقرظ وقد كان كما قال عليه الصلاة والسلام فانت
في الفواطم كهارون في فواطم بضعته كيف الرفضة بافراطها محبته واما التبري منهم وبغضهم
وضلالا لانهم على المناهج القويم والدين المستقيم والاهتداء منوط بالاقتداء بهم حيث قال
عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي التبري منهم عدم الاهتداء
وهذا الضلال وتبغض من يبغضهم لان بغضهم انما نشأ من بغضهم دينهم الذي ارتضاه
الله حيث قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقد ثبت حيث الاعتقاد وتبعته النفاق
والغلاة فيجب بغض من يبغضهم ويغير الحق تذكرهم ولا الخوض فيما شجر بينهم ونحمل
حالهم على الاجتهاد ولا تذكرهم الا بخير لانهم اصدوك هذا الدين فالطعن في الدين وحبهم
دين وايمان واحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان وهذا الله ظاهر من ضرورات
الشرع قوله وثبتت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق
عبد الله بن ابي قحافة الصديق تفضيلا له وتقديما على جميع الامة بتقديم
النبي عليه السلام اياه ثم لعثمان بن عفان ثم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم
وهم الخلفاء الراشدون والائمة المهديون الامامة للحق بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابو بكر الصديق وخالف الشيعة جمهور المسلمين وزعموا ان الامامة
الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم علي رضي الله عنه وحجة جمهور المسلمين ان
الصحابة من المهاجرين والانصار اجمعوا على امامة ابي بكر رضي الله عنه وهذا من
اقوى الحجج في اثبات الامامة وسنذكر الاجماع امامة ابي بكر فقوله عليه الصلاة والسلام مروا
ابا بكر فليصل بالناس استخلفه في حياتي على الصلاة التي هي اعظم اركان الدين
فيبقى بعد موته خليفته في الصلاة وفي غير الصلاة بطريق الاولى ولهذا قال
عمر رضي الله عنه رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاك
لدنيانا اولانه افضل الناس بعد الانبياء لقوله عليه الصلاة والسلام والله ما طلعت
شمس ولا غربت على احد بعد النبيين افضل من ابي بكر واذا ثبتت خلافة ابي بكر
رضي الله عنه بالاجماع وقد رضي بالخلافة لعمر رضي الله عنه واتفقت الصحابة
على بيعته ثبتت خلافة عمر رضي الله عنه بعده والبته اشار النبي عليه الصلاة
والسلام اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يستخلف احدا عند

وفاته

وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة كلهم شهد لهم بالجنة عثمان وعلي وعبد الرحمن
ابن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص فبايع عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان
ورضي به الباقون من اهل الشورى وغيرهم من الصحابة فثبتت خلافته باجماع
الصحابة ثم استشهد عثمان رضي الله عنه ولم يستخلف احدا فاتفق من بقي من اهل
الشورى وغيرهم على خلافة علي رضي الله عنه فانعقدت خلافته كما يقتضيه وتم
بها ثلاثون سنة ثم تغيرت ملكا وجبروتا ثم تغيرت بزي ماخوذ من بزي بقاله
من غير زي من غلب سلب والنبي صلى الله عليه وسلم عرف بالوحي وتهمة مجزة
باهرة ان الخلافة تنتهي الى ثلاثين سنة وهكذا كانت خلافة ابي بكر رضي الله عنه
كانت ستين ومدة خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين ومدة عثمان رضي الله
عنه اثنى عشر عشر سنة ومدة خلافة علي رضي الله عنه كانت ست سنين
والمجموع ثلاثون سنة وهم الخلفاء الراشدون والائمة المهديون الذين سار ولا
سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يعد لو عن طريقته الى شيء وهم الذين اشار
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم لقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين من بعدي فتكلموا فيها فقوله وان العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد
بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله لحق وقولهم
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وهم امناء هذه الامة رضوان الله
عليهم اجمعين معناه ظاهر قوله ومن احسن القول في اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وازواجه وذرياته فقد برئ من النفاق وذلك
لان الصحابة قد اثنى عليهم سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة منها قوله والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا فيجب تعظيمهم
فمن احسن القول فيهم فقد برئ من النفاق ولذلك ازواج النبي عليه الصلاة والسلام
امهات المومنين ومعهن بركة صحبته خاتم النبيين ولذلك ذرياته
وعترته الطاهرة قد اذهب الله عنهم الرجس فطهرهم بنص القرآن فمحبتهم اية الايمان
والبراءة منهم امارة النفاق واسارة الغلو فيهم اما يكون بحسب الباطن وسوء الاعتقاد
قوله وعلماء السلف من الصالحين والتابعين ومن بعدهم من اهل الخير
والاثر وهل الفقه والنظر لا يذكرون الا بالجميل ومن ذكرهم بسوء وهو على
غير السبيل لان تعظيم هولاء من تعظيم الدين لانهم ورثة الانبياء وحملة الشريعة
فقد ذهب اتباعهم والثناء عليهم وكفا للسان عن طعنهم فمن ذكرهم بالسوء وطعن
فيهم فقد طعن في الدين وعدل عن سنة المرسلين وذلك النفاق والنفاق زلة
ولا نفضل احدا من الاولياء على احد من الانبياء ونقول نبي واحد افضل
من جميع الاولياء ونومن بما جاءوا من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم
لا يبلغ ولي قط الى درجة النبي لان الولي تابع للنبي والتابع درجته دون درجة المتبوع
ولان كل نبي وولي يشهد لنبينا فمن اعتقد نبوة ولاية فيكون افضل
من الولي وفيه رد لما يزعمه بعض جهلة الصوفية من ترجيح الولاية على النبوة
ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين
افضل من ابي بكر فهذا الحديث يقتضي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه افضل
من جميع الاولياء الذين ليسوا بانبياء فاما ان كان الصديق افقر من الاولياء فالاولياء
اولى وكذا من جاء في كرامة الاولياء لانه قد تقرر في القرآن قصة عرش بلقيس
وقد ذكر الله تعالى ان الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي وقصة مريم

وما ظهر لها من الخوارق من رزق الشتاء في الصيف ورزق الصيف في الشتاء وظهور النخلة
في البحر وسائط الرطب عنها من أعظم الكرامات لمريم على ما حكى الله تعالى بقوله
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا والأخبار في كرامات الأحياء مستفيضة
وكل كرامة تظهر على يد ولي فهي معجزة لنبي لأنه إنما أكرم الله الولي بتلك الكرامات بركة
متابعة النبي وكل ما يظهر على يده يكون دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الكرامة
قد تكون في المعجزة بل موجودة لها دائما عليها خلافا لما زعمت المعتزلة من حيث انه
لا يبقى فرق بين الولي والنبي لو جوزنا ظهور المعجزة في يد الولي ولما المعجزة تقارن
دعوى النبوة ولو اد عى الولي النبوة لكفر من ساعته ولان الولي يجوز ان يقلب الدنيا
ويجوز ان لا يعلم بخلاف النبي ويجوز اظهار الكرامة للذي رعيا لا تستلزم اعجازا
وقوله وتزول بخروج الدجال وبنزول عيسى بن مريم من السماء وتزول
بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض من موضعها لان النبي صلى
الله عليه وسلم اخبر بهذه الاشياء وهي صادقة فيجب الايمان بما اخبر به والاحاديث فيها
مستفيضة قوله ولا تصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا خلاف الكتاب
والسنة والاجماع الامة اما تكذيب الكاهن والعراف فلان الاطلاع على الغيب
مما استأثر الله به فلا يطلع عليه احدا لا من ارتضاه الله بقوله من الانبياء بالوحي
المبرهن على ما قال الله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا لا من ارتضى من رسول فالكاهن
والعراف ليسا من الانبياء فلا يصدقهما فيما يخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام من
ان عمرانا وكاهنا وصدقه فقد كفر بما انزل على محمد وكذا لا تصدق من يدعي شيئا
مخالفا لكتاب الله وسنة رسوله والاجماع الامة لان هذه الادلة هي اصول الشرع
فمن اعتقد شيئا على خلاف ما في ادلة الشرع فيكون بدعة وكل بدعة ضلالة قوله
ودين الله في السماء والارض واحد وهو دين الاسلام لما قال الله تعالى
عند الله الاسلام وقال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وذلك لان اهل
السماء والارض من الملائكة والجن والانس كلهم مكلفون بالتوحيد والايمان بالله وبما
سماه به ووصفه وتصديق ما جاء به الانبياء بالمعاد والمعاد وذلك واحد لا يختلف فيه
احد من المكلفين ولا يقبل غير دين الاسلام عن احد لما قال الله تعالى ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فدل على اصل الدين وهو الاسلام واحد لما قال
الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا والخطاب للجميع
المكلفين من اهل السماء والارض فلا يختلف في اصل الدين قوله وهو اي دين الله
بين الغلو والتقصير اي متوسطا بينهما لان الميل الى احد الطرفين خروج
عن الصراط المستقيم والغلو وهو مجاوزة الحد والتقصير هو النزول عن الحد
وكل منهما مذموم لان العبد بين التجاوز عما حده له مولاه ولا التقصير عما امر
به وقد ذكر دين الله بين المشبه والمعطل وهو ان تثبت لله تعالى نعوت
الجلال وصفات الكمال على ما نطق به الكتاب العزيز والآثار المروية عن النبي
عليه الصلاة والسلام من غير تشبيه بما هو صفة المشبهة المجسمة حيث
شبهوا الخالق بخلقه ولا تعطيل بما هو مذهب المعتزلة حيث
نفوا عن الله تعالى جميع الصفات حقيقة فعطلوه عنها وكذا قدر الدين بين الجبر
والقدر وهو طريقة اهل الحق حيث ان لا افعال العباد من خير والشر خلق الله
وكسب لهم لا كما هو مذهب الجبرية حيث قالوا لا صنع للعباد في افعالهم بل هم
مجبورون على ذلك ولا كما هو مذهب القدرية حيث قالوا افعال العباد مخلوقة
بخلق الله تعالى لهم لا خلق الله تعالى فيهم وكذا بين اليأس والامن اي بين
الخوف والرجاء اذ في الامن عن العقاب ظن التجرء منه ومخالفة النصوص
الناطقة بالوعيد والعذاب الشديد للفجار والاشرار كما هو مذهب المشبهة المجسمة
حيث قالوا لا يضر ذنب مع الايمان فلا يدخل احد من المؤمنين النار وكذا في اليأس
من رحمة الله ظن التجرء عن العفو ومخالفة النصوص الناطقة بالوعد
والشفاعة والعفو للمؤمنين كما هو مذهب الخوارج والمعتزلة حيث قالوا لا ينفع

الايمان

X خالفوا الجماعة
وخالفوا الضلال
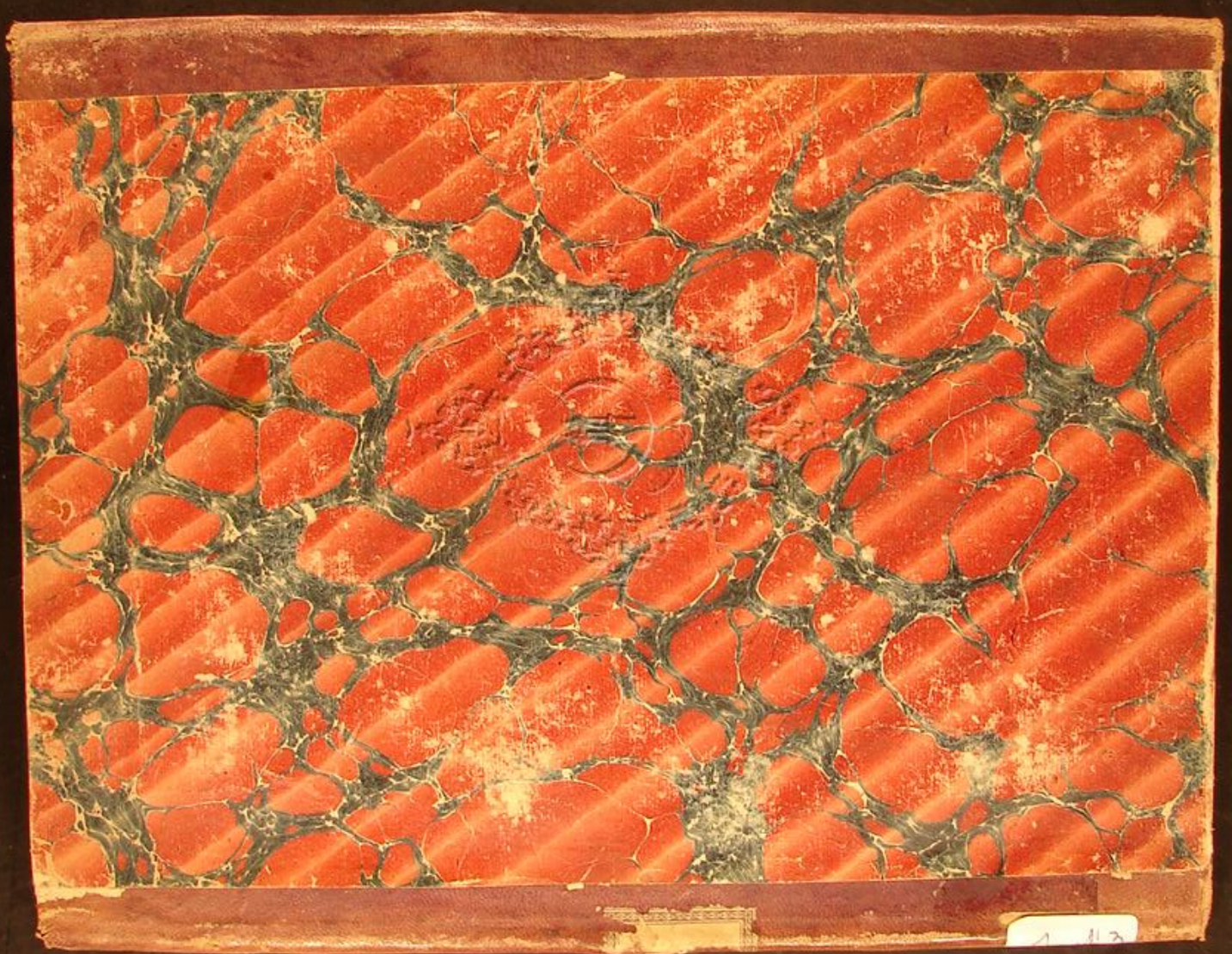
الايمان بدون الاعمال فلو مات صاحب الكبيرة بلا توبة يخلد في النار وكلا المذهبين مخالف
الكتاب والسنة اما الامن فقال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
واما اليأس فقال الله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والتي
فيه كثيرة قوله وغيرهم اي جميع ما ذكرناه من اول الكتاب الى هنا دينا واعتقادا
ظاهرا وباطنا لان في شيء منه على صحة ما ذكرنا الادلة المنقولة والبراهين
المعقولة فيجب ان نعتقده ظاهرا وباطنا لان المخالفة بين الظاهر والباطن
من اوصاف المنافقين وهم في الدرك الاسفل من النار قوله ونحن نبرأ الى الله
من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه وسأل الله تعالى ان يثبتنا
على الايمان ويختم لنا به ونعضهم من لا يهوا المختلفة والاراء المتفرقة
والمذاهب الردية مثل المشبهة والمرجئة والقدرية والجبرية
وغيرهم من الذين خالفوا الضلال ونحن نبرأ منهم وهم عندنا ضلال
اردينا انما قال نحن نبرأ الى الله من كل من خالف الذي ذكرناه لان ما ذكره من اصول
الدين من اول الكتاب وآخره هو مذهب السنة والجماعة من الصحابة والتابعين
ثابت بالمنقول والمعقول وهو الطريق الذي كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام
واصحابه فيكون المخالف على مذهب اهل الهوى والبدعة فوجب التبرء عنه
وانما سأل الثبات على دين الاسلام لانه من اهم اغراض الدين والدنيا وهو اما الانبياء
والاولياء والاعتبار بخت الخاتمة وكم جبر مكسور للخير على الايمان لينال الفوز
والنجاة والدرجات وانما طلب العصمة من الاهواء المختلفة لان اهل الاهواء
خالفوا الادلة الظاهرة والبراهين الباهرة الشرعية والعقلية وتعلقوا بأوهام
وشبهات لا تصلح دليلا يهوي الشيء وصيلها الى الباطل فوجب التبرء
مما يوجب عداوة الحق الاترى الى قول ابن عمر حين قال له السائل ان عندنا اقواما
لا يثبتون القدر فقال ابلغهم عني اني بريء منهم ثم قرر المذاهب الردية
والاراء المتفرقة بقوله مثل المشبهة والجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم
كاتباع الشيعة والكرامية والخوارج والمرجية وامثالهم انما الى المشبهة لان
عقيدتهم الفاسدة تقتضي تشبيه الله تعالى بخلقه الصانع القديم بتشبيه الجاهل
العاجز قال الامام فخر الدين المجسم قط ما عبد الله لانه يعبد ما يتصوره
في وهمه من الصور والله منزه عن ذلك ثم ذكر شبههم بحيث عقائدهم المشتملة
على تعطيل الصانع عن اسمه وتشبيههم بقاء الجنة واهلها وبقاء النار واهلها
حالة بالقدرية لنفيهم عن الله صفات الذات والافعال حقيقة ثم قال
ونحن نبرأ منهم وهم عندنا ضلال وارد بالخلافهم للكتاب والسنة والاجماع
والاخبار المشتهرة ولكن هذا الحرف الكتاب والله الموفق للصواب واليه
المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله
واصحابه وسلم اجمعين